الكتاب الجامع للفضائل

(٢٥)

فضل النبي

صلى اللّه عليه وسلم

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضل النبي -صلى الله عليه وسلم-

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ ٧٠ ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ -تعالى-، وخيرَ الهدي، هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل النبي- صلى الله عليه وسلم-

١- النبي ﷺ اصطفاه الله ﷻ من سائر الخلق كلهم:

٢- النبي ﷺ سيد ولد آدم، فلا ينازعه أحدٌ في منزلته وعلو درجته:

٣- النبي ﷺ دعوة إبراهيم وبشارة عيسى -عليهما السلام-:

٤- النبي ﷺ منه من أعظم منن الله علينا:

٥- النبي ﷺ لفضله ولعلو مكانته عند الله فإنه سبحانه أقسم بحياته:

٦- جعل الله ﷻ الايمان به مقرونا بالإيمان بالنبي ﷺ:

٧- شهادة الله ﷻ والملائكة للنبي ﷺ بالرسالة:

٨- النبي ﷺ زكاه الله ﷻ وكفى بهذا شرفًا وتكريمًا:

٩- من استهان بالنبي ﷺ أو سبه أو طعن فيه فقد كفر:

١٠- النبي ﷺ نفي الله عنه كل سيئ وقبيح، وأثبت له كل جميل وكريم:

١١- النبي ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

١٢- النبي ﷺ شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره:

١٣- أمرنا الله تعالى بالتأسي بهذا النبي الكريم ﷺ:

١٤- أثنى الله ﷻ على نبيه وخليله ﷺ بعظمه خُلُقِه:

١٥- النبي ﷺ أُعْطِيَ جوامع الكلم:

١٦- النبي ﷺ مُلئ قلبه إيمانًا وحكمة:

١٧- النبي ﷺ أرسله الله ﷻ رحمة للعالمين:

١٨- كفاية الله تعالى لنبيه ﷺ:

١٩- رسالة النبي ﷺ عامة لجميع الناس:

٢٠- رسالة النبي ﷺ ودينه ناسخ لجميع الأديان:

٢١- اتخذ الله ﷻ النبي ﷺ خليلًا وكفى بهذا شرفًا:

٢٢- الله ﷻ أمر المؤمنين أن يقدموا محبة النبي الأمين ﷺ فوق محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين:

٢٣- الله تعالى لم ينادي النبيﷺ باسمه مجردًا، وهذا يدل على علو مكانه الحبيب النبيﷺ:

٢٤- النبي ﷺ وجده الله ﷻ يتيمًا فآواه، وضالًا فهداه، وعائلًا فأغناه:

٢٥- أعطى الله ﷻ للنبي ﷺ الكثير من أسمائه الحسنى وكفى بهذا فضلًا وتشريفًا:

٢٦- النبي ﷺ يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه:

٢٧- حرمة رفع الصوت فوق صوته ﷺ:

٢٨- حرمة ايذائه ﷺ ولو بمباح:

٢٩- حرمة التقدم بين يديه ﷺ بقول أو فعل:

٣٠- تكفل الله ﷻ بحفظ النبي ﷺ والاعتناء به وعصمته:

٣١- الأمر بالصدقة بين يدي نجواه ﷺ:

٣٢- تسلية الله ﷻ للرسول ﷺ:

٣٣- الله ﷻ يعتني بالنبي ﷺ وكفى بهذا شرفًا:

٣٤- النبي ﷺ كلَّمه الله ﷻ:

٣٥- النبي ﷺ مستجاب الدعوة:

٣٦- النبي ﷺ أُعْطِي مفاتيح خزائن الأرض:

٣٧- الله تعالى يعطي النبي ﷺ ما يتمني دون أن يسأل، فهو سبحانه يسارع في هوى النبيﷺ:

٣٨- الأشجار والأصحاب والحيوانات يحبون النبي ﷺ ويتأدبون معه، ويشهدون له بالرسالة، ويسلمون عليه:

٣٩- طاعة النبي ﷺ واتباع سنته سبيل للخروج من الفتن ومحدثات الأمور:

٤٠- النبي ﷺ لو وزن بأمته لوزنهم:

٤١- الله ﷻ يصلي على النبي ﷺ هو والملائكة:

٤٢- النبي ﷺ شاهد ومبشر ونذير:

٤٣- نصره الله ﷻ لنبيه ﷺ ودفاعه عنه:

٤٤- أحلت للنبي ﷺ الغنائم ونصر بالرعب على الأعداء مسيرة شهر:

٤٥- أوجب الله تعالى علينا طاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحذرنا من معصيته:

٤٦- جعل الله ﷻ استغفار النبي ﷺ للمؤمنين رحمة لهم:

٤٧- الله ﷻ أخذ الميثاق على الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وينصره إذا خرج في زمانهم:

٤٨- النبي ﷺ فضل على الأنبياء بأمور:

٤٩- النبي ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا:

٥٠- النبي ﷺ خاتم النبين:

٥١- رسولنا ﷺ خير الرسل، بعثة الله تعالى في خير القرون:

٥٢- أرسل الله ﷻ النبي ﷺ في خير البلاد ألا وهي مكة المكرمة زادها الله تعظيمًا:

٥٣- وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ خير كتاب وهو القرآن الكريم:

٥٤- صحابة النبي ﷺ خير وأفضل الأصحاب:

٥٥- أمة النبي ﷺ خير الأمم وأفضلها على الإطلاق:

٥٦- النبي ﷺ أمنة لإمته لأصحابه:

٥٧- النبي ﷺ زَوَّجه اللهُ ﷻ من فوق سبع سماوات:

٥٨- أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين:

٥٩- أذهب الله ﷻ الرجس عن أهل بيت النبيﷺ وطهرهم تطهير:

٦٠- الله ﷻ يؤيد النبي ﷺ بالمعجزات ويثبته بالآيات:

٦١- إطلاع النبي ﷺ على المغيبات التي أراد الله اطلاعه عليها:

٦٢- قول النبي ﷺ وحي:

٦٣- النبي ﷺ لا يتمثل الشيطان به:

٦٤- الله ﷻ أعطى للنبي ﷺ علامة على قرب أجله:

٦٥- التأدب من النبي ﷺ بعد موته وصيانة حرمته:

٦٦- أجر النبي ﷺ موصول غير مقطوع إلى يوم القيامة:

٦٧- النبي ﷺ شهيد على أمته يوم القيامة وأمته شهداء على سائر الأمم:

٦٨- النبي ﷺ أول من يبعث، وهو أول شافع ومشفع:

٦٩- النبي ﷺ أول من يجيز الصراط:

٧٠- ما بين بيته ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة:

٧١- النبي ﷺ صاحب المقام المحمود:

٧٢- النبي ﷺ أعطاه الله ﷻ الحوض المورود في عرصات يوم القيامة، وأعطاه الكوثر في الجنة:

٧٣- النبي ﷺ أول مَن سيقرع حلَق الجَنَّة، فلا يفتح لأحد قبله:

٧٤- النبي ﷺ صاحب الوسيلة:

فضل النبي -صلى الله عليه وسلم-

مقدمة:

ذكر القاضي عياض–رحمه الله– في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفي صـ ٥٦–٥٧" بعضًا من صفات وفضائل النبي ﷺ ثم قال:

إذا كانت خصالُ الكمالِ والجمالِ ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يشرفُ بواحدة منها أو اثنين – إن اتفقت له – في كل عصر، إمَّا من نسب أو جمال، أو قوة أو حلم، أو شجاعة أو سماحة، حتى يعظمَ قدرهُ، ويضرب باسمه الأمثال، ..... ثم قال: ما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه هذه الخصال عند ربه، إلى مالا يأخذه عَدٌّ ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال؟ من فضيلة النبوة، والرسالة، والخلة، المحبة، والاصطفاء، والإسراء، والقرب، والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والنذارة، والمكانة عند ذي العرش، والطاعة ثم والأمانة، والهداية، ورحمة للعالمين، وإعطاء الرضا، والسؤل، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم، وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب، والحكمة، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسّم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب بإذن ربه، وظِل الغمام، وتسبيح الحصا، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى ما لا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك، ومفضله به، لا إله غيره، بالإضافة إلى ما أُعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة، والحسنى، والزيادة التي تقف دونها العقول، ويحار دون إدراكها الوهم. أهـ باختصار

فالنبي ﷺ أعطاه اللهُ من الفضائل الكثيرة، والمِنَنِ العظيمة، والخصال الحميدة، والتي يصعب حصرها، ونذكر في هذه الرسالة بعض منها على سبيل الإشارة:

١- النبي -صلى الله عليه وسلم- اصطفاه الله -تعالى- من سائر الخلق كلهم:

النبي ﷺ شأنه عند الله ﷻ عظيم، وإن قدره لكريم، وقد اختاره واصطفاه رب العالمين دون الناس أجمعين وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين، **قال تعالى:** ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج:٧٥)

وأخرج الإمام مسلم من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ".

– ***وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن ابن مسعود ﷺ قال:*** **" إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوبَ أصحابِه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ ".**

فيا صفوة الله في جميع خلقه، وأكرم الأكرمين عليه من رسله، جمع الله فيك ما تفرق فيهم من صفات الكمال والجمال، وزدت عليهم بما خصك به ذو الجلال والإكرام.

٢- النبي -صلى الله عليه وسلم- سيد ولد آدم، فلا ينازعه أحدٌ في منزلته وعلو درجته:

فخر لكل المسلم أن يكون نبيّه محمد ﷺ، سيد الأولين والآخرين، خير الخلق، وحبيب الحق، وخير مَن تنفَّس الهواء، وخير مَن وَطِيء الحصى، **وهو القائل** ﷺ:**" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع وأول مُشفَّع ".** (رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ)

– **وفي رواية في الصحيحين: " أنا سيد الناس يوم القيامة ".**

– **وفي رواية عند الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدمُ فمَن سواه إلا تحت لوائي: وأنا أولُ شافعٍ، وأولُ مُشفَّعٍ ولا فخر".** (صحيح الجامع:١٤٦٨)

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يذكر افتخارًا في الغالب؛ أراد النبي ﷺ أن يقطع وَهْمَ مَن توَهَّم أنه يذكر ذلك افتخارًا، **فقال** ﷺ: **"ولا فخر".**

بأبي انت وأمي يا رسول الله: أي قدر يداني قدرك فضلا عن أن يساويه، وأي مقام يكون مثل مقامك فضلا عن أن يساميه؟

بل كيف ترقي رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء.

تنبيه: في هذا الحديث يقول النبي ﷺ:" **أنا سيد ولد آدم**". وفي حديث آخر يقول:" **لا تفضلوا بين الأنبياء**".

فكيف يمكن الجمع؟ يقول الإمام النووي–رحمه الله– فجوابه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبًا وتواضعًا.

الثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

الرابع: إنما نهي عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث (تخاصم رجلان)

الخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، ولابد من اعتقاد التفضيل، **فقد قال تعالى:** ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة:٢٥٣)

٣- النبي -صلى الله عليه وسلم- دعوة إبراهيم وبشارة عيسى -عليهما السلام-:

فكونه دعوة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– يدل عليها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٩)

وكونه بشارة عيسى–عليه السلام– يدل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف:٦)

– ***وقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ﷺ قال:*** قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشري عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام ". (الصحيحة: ١٥٤٥)

يقول ابن رجب –رحمه الله–: وقوله ﷺ:" ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام ".

وخروج هذا النور عند وضعه ﷺ إشارة إلى ما يجئ به من النور الذي اهتدي به أهل الأرض وزال به ظلمة الشرك منها. كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:١٥-١٦)

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

قال ابن كثير –رحمه الله– كما في" تفسيره: ٢٦٨/١: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلًا للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ***ولهذا جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:*** " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" – ***وفي رواية البخاري:*** وهم بالشام ".

٤- النبي -صلى الله عليه وسلم- منَّةٌ من أعظم منَنِ الله علينا:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾

(إبراهيم:٢٨-٢٩)

قال عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- في قوله ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: **النعمة: هي محمد، والذين بدلو نعمة كفرًا: هم كفار قريش.** (انظر تفسير ابن جرير: ١٤٥/١٣) (تفسير البغوي:٣٥/٣)

لقد كانت مكة قبل مجيء النبي ﷺ غارقة في وحل الرذيلة والطغيان فهم يكفرون بالرحمن، ويعبدون الأصنام والأوثان، ويخيم على أرجائها الظلم والبغي واتباع الشهوات وكثرة المنكرات كشرب الخمر، ولعب القمار، ووأد النبات، وقتل الأولاد مخافة الفقر، وشن الغارات للسلب والنهب، وانتشار العري والتبرج والسفور، واتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال، وانتشار الزنا وأصحاب الرايات الحمر، ونكاح الاستبضاع[١]

وحسبك أن تقف مع هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم لتعلم حال الناس قبل بعثه النبي ﷺ، وفيه:

" إن الله نظر إلى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب ".

ثم من الله علينا بالحبيب النبي ﷺ، وهو من أفضل نعم الله علينا.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤)

فبعث الله- تعالى- النبي ﷺ فطهر به الأرض من دنس الشرك والكفران، ودعي الناس إلى أنوار التوحيد والإيمان، وعبادة الرحمن.

بعثه الله ففتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وأضاء الله به هذا الكون المظلم، بعثه الله- تعالى- ليملأ القلب إيمانًا، والعقل حكمة، والنفس يقينًا، والكون عدلًا، والدنيا رحمة، والأيام سلامًا، والليالي أمنًا.

وها هو جعفر بن أبي طالب ﷺ يقول للنجاشي كما في مسند الإمام أحمد:

" أيها الملكُ كنا قومًا أهلَ جاهليةٍ نعبدُ الأصنامَ، ونأكل الميتةَ، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوارَ، يأكل القويُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعث اللهُ إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقَه وأمانتَه وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحدَه، ونعبدَه ونخلَع[٢] ما كنا نعبد نحن وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحشِ وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة ".

فالحمد لله الذي من علينا وتفضل وأخرجنا بالرسول ﷺ من الظلمات إلى النور، وبصرنا به من العمى، وأنقذنا به من الضلالة، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته ورسولًا عن رسالته.

---

١ - نكاح الاستبضاع: هو طلب الرجل من أمرأته بعد ما تطهر من الحيض أن تذهب إلى رجل من أشراف قريش وتضاجعه، طلبًا لنجابة الولد، وأن يرث الصفات العظيمة من هذا الرجل.

٢- نخلع: أي نترك

٥- النبي -صلى الله عليه وسلم- لفضله ولعلو مكانته عند الله -تعالى- فإنه سبحانه أقسم بحياته:

أقسم الله تعالى بأشياء كثيرة من مخلوقاته[١] الدالة على كماله وعظمته ليؤكد المعني في نفوس المخاطبين، فأقسم تعالى بالشمس والقمر والفجر والسماء ..... وغير ذلك. لكنه سبحانه لم يقسم بأحد من البشر إلا رسول الله ﷺ. **فقال تعالى:** ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر:٧٢)

قال القاض عياض-رحمه الله- في كتابه" الشفا بتعريف حقوق المصطفى": اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله ﷻ بمدة حياة محمد ﷺ، وقال: ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل: وعيشك، وقيل: وحياتك.

فما قرع سمعَنا أن الله- سبحانه وتعالى- أقسم بحياة أحد ولا بحياة نبي مرسل ولا ملك مقرب ولم يقسم إلا بحياة سيد الخلق ﷺ تنبيهًا على علو مقامه ﷺ.

يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-: **" ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله ﷻ أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ[٢] إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾".**

(تفسير القرطبي: ١٠/٣٩)

والإقسام بحياة المُقسَمِ بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المُقسِمِ بها، وأن حياتَه ﷺ لجديرةٌ أن يُقسَمَ بها لما فيها من البركة العامة والخاصة، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ ". (بداية السول في تفضيل الرسول صـ٣٧)

٦- جعل الله الايمان به مقرونا بالإيمان بالنبي -صلى الله عليه وسلم-:

فلا يصح إيمان بالله لمن لا يؤمن بالنبي ﷺ، والله تعالى لم يذكر في القرآن الكريم ذلك لأحد من أنبيائه ورسوله -عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم-

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء:١٣٦)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات:١٥)

وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف:١٠-١١)

١- فالله- سبحانه وتعالى- يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له القسم والحلف إلا بالله تعالى واسمائه وصفاته كما قال النبي ﷺ " من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت". (رواه البخاري ومسلم) قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله -: قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده. أهـ (فتح الباري: ١١/٥٤٠)

٢- أي وحياتك

٧- شهادة الله -تعالى- والملائكة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة:

وكفى بهذا شرفا وتكريمًا

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح:٢٨)

وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء:٧٩)

وقال تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء:١٦٦)

بلغ النبي ﷺ من التشريف والتعظيم والتقدير أن يشهد الله- تعالى- والملائكة على صدق رسالته ﷺ، وأن الله تعالى أنزل عليه القرآن بالحق، وأنه أرسله للناس كلهم، وأن دينه سيظهر على جميع الأديان.

٨- النبي -صلى الله عليه وسلم- زَّكاهُ اللهُ - تعالى- وكفى بهذا شرفًا وتكريماً:

الله ﷻ نزه علم النبي ﷺ عن الضلال، وعمله عن الغي، ونطقه عن الهوى، وفؤاده عن التكذيب، وبصره عن الزيغ والطغيان، فصلوات ربي وسلامه عليه.

- **وقد زكاه ربه في عقله فقال:** ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (النجم:٢)

وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (الطور:٢٩)

- **وزكاه ربه في بصره فقال:** ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (النجم:١٧)
- **وزكاه ربه في صدره فقال:** ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (الشرح:١)
- **وزكاه ربه في فؤاده فقال:** ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم:١١)
- **وزكاه ربه في طهره فقال:** ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ (الشرح:٢)
- **وزكاه ربه في ذكره فقال:** ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح:٤)
- **وزكاه ربه في صدقه فقال:** ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (النجم:٣)
- **وزكاه ربه في علمه فقال:** ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (النجم:٥)
- **وزكاه ربه في حلمه فقال:** ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة:١٢٨)
- **وزكاه ربه كله فقال:** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤)

٩- من استهان بالنبي -صلى الله عليه وسلم- أو سبه أو طعن فيه فقد كفر:

فقد أوجب الله على الأمة توقير وإكرام وتعظيم النبي ﷺ، وتوعد كل من أذاه أو أستهان به أو سبَّه بالعذاب الأليم. **قال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة:٦١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب:٥٧)

وفي غزوة تبوك قال المنافقون: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، وأكذب ألسنًا، وأجبن عند اللقاء، فنزل **قوله تعالى:** ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة:٦٥-٦٦)

فكلُّ من استهان برسول الله ﷺ أو سَبَّه أو عَابَه أو أَلْحَقَ به نقصًا في نفسه أو نَسَبِهِ أو دينه أو خصلةٍ من خصاله أو عَرَّض به أو شَبَّهَهُ بشيء على طريق السبِّ له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغضِّ منه والعيب له فإنه يُقْتَلُ كفرًا. والأدلة على ذلك كثيرة منها:

ما أخرجه أبو داود والنسائي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- **" أن أعمي كانت له أمُ ولدٍ، تشتم النبيَّ ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول[1] فوضعه في بطنها، وأتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال: " أَنْشُدُ الله رجلًا فعل ما فعل، لي عليه حق، إلا قام فقام الأعمى يتخطى الناس، وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة، جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: ألا اشهدوا: أن دَمَها هَدَرٌ ".** (صحيح أبي داود: ٣٦٦٦)

وقد نقل القاضي عياض-رحمه الله- في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/٤٧٤" عن أبي بكر بن المنذر-رحمه الله- أنه قال:" أجمعَ عوامُ أهلِ العلم على أنَّ من سبَّ النبي ﷺ يقتل".

وقال محمد بن سحنون -رحمه الله-: " أجمع العلماءُ أن شاتم النبي ﷺ المنتقصَ له كافرٌ والوعيد جار عليه بعذاب الله، له وحكمُه عند الأمة القتل". أهـ

وقد ذكر ذلك ونقل الإجماع عليه غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

---

[1]- المغول: سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه، وقيل: حديدة دقيقة لها حد ماض، وقيل: سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس (انظر عون المعبود: ١٢/١٥)

وجعل الله - تعالى- الطعن في النبي- صلى الله عليه وسلم- طعن في الدين:

قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(النساء:٤٦)

فالله تعالى فضح اليهود في القرآن الكريم حيث أنهم نعتوا النبي ﷺ بغير نعته، وسبوه وطعنوا فيه، والله تعالى جعل الطعن فيه طعنًا في الدين والطاعن في الدين كافر.

فالطاعن في النبي ﷺ كافر وعليه إجماع الأمة

١٠- النبي -صلى الله عليه وسلم- نفي الله عنه كل سيئ وقبيح، وأثبت له كل جميل وكريم:

وأقسم ربنا على ذلك، إذ قال سبحانه: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:١-٤)

وأخرج الامام مسلم عن هشام بن عامر قال: قلت لعائشةَ – رضي الله عنها-: "يا أمَّ المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألستَ تقرأُ القرآنَ؟ قلت: بلي، قالت: فإنَّ خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآن ".

قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: "ومعني هذا: أنه -عليه الصلاة السلام- صار امتثال القرآن- أمرًا ونهيًا – سجية وخلقًا تطبَّعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح، والحلم، وكل خلق جميل".

كما ثبت في الصحيحين عن أنس ﷺ قال: " خدمت رسول الله ﷺ عشرَ سنينَ فما قال لي أفًا قطُّ، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيء لَمْ أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس خلقًا، ولا مسستُ خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيبَ من عَرَقِ رسول الله ﷺ ".

وأخرج البخاري من حديث البراء ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسن الناس خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ".

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: " ما ضرب رسولُ اللهِ ﷺ بيده خادمًا له قطُّ، ولا امرأةً، ولا ضرب بيده شيئًا قطُّ، إلا أنْ يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّرَ بين شيئين قط إلا كان أحبُّهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثما كان أبعدُ الناسِ من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتي إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله ﷻ ".

والأحاديث في هذا كثيرة، ومن أراد المزيد فعليه بكتاب" الشمائل" لأبي عيسى الترمذي-رحمه الله-.

١١- النبي -صلى الله عليه وسلم- غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح:١-٣)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٤/١٨٣ عند هذه الآية: " هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال كغيره غفر له ما قدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الأخرين وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدينا والآخرة ". أهـ

وأخرج البخاري ومسلم وأحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: " نزلت على النبي ﷺ مرجعه من الحديبية وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة وقد حيل بينهم وبين مساكنهم، ونحروا الهدي بالحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ إلى قوله ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ فقال ﷺ: لقد أنزلتْ عليّ آيتان هما أحب إليّ من الدنيا جميعًا " قال: فلما تلاهما، قال رجل: هنيئًا مريئًا يا رسول الله قد بين لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأنزل الله ﷻ الأية التي بعدها: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ". (انظر الصحيح المسند من أسباب النزول صـ ٢٥٦)

وأخرج الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: " كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".

وأصل الحديث في الصحيحين من حديث عائشة-رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة- رضي الله عنها-: لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحِبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا ".

- ***وأخرج البزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " فضلت على الأنبياء بست لم يعطَهنَّ أحدٌ كان قبلي: غُفِرَ لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت أمتي خير الأمم، وجعلت لي الأرضي مسجدًا وطهورًا، وأعطيت الكوثر، ونصرت بالرعب، والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ". (قال الحافظ الهيثمي في" مجمع الزوائد: ٨/٢٦٩": إسناده جيد)

- ***وفي حديث الشفاعة الطويل وهو عند البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***
" يجمع الله الناس يوم القيامة ....." ***الحديث. وفيه:*** أن الناس يأتون آدم ليشفع لهم عند ربهم فيقول لست هناكم-أي لست أهلًا لذلك- فيحيلهم إلى نوح، فيحيلهم نوح إلى إبراهيم، ويحيلهم إبراهيم إلى موسى، ويحيلهم موسى إلى عيسى- عليهم جميعًا أفضل السلام وأتم التسليم- والكل يقول: لست هناكم، فيقول عيسى عليه السلام: ولكن ائتوا محمدًا، عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ....." ***الحديث***

- ***وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** ..... فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ..... " ***الحديث***

١٢- النبي -صلى الله عليه وسلم- شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:١-٤)

فقد أختلف العلماء في معنى شرح الصدر، فقال البعض: أن المقصود بشرح الصدر هو شقه وقد تم هذا مرتين: الأولي منهما: وهو صغير يلعب مع الغلمان ***كما في صحيح مسلم من حديث أنس*** ﷺ **أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل- عليه السلام- وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ[١] ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني: ظئره) [٢] فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون[٣]. قال أنس** ﷺ**: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.**

والثانية: ليلة المعراج كما ***في الصحيحين من حديث أبي ذر*** ﷺ ***أن رسول الله*** ﷺ ***قال:*** **" فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ....."**. ***الحديث***

ومن العلماء من قال: إن المراد بشرح الصدر توسيعه وجعله رحيبًا فسيحًا يسع التكاليف التي يكلف بها من صلوات الله وسلامه عليه، ويقبلها بارتياح واطمئنان وهدوء، ويتحمل في سبيلها ما يصيبه من أذى وبلاء بصدر رحب وصفح وعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان، ومن شرح الله صدره فإنه يقبل كل ما جاء في الإسلام من أوامر ونواهي، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥) وبدء طريق الهداية يكون بشرح الصدر، ومن ثم دعاء موسي عليه السلام لما كلفه الله ﷻ بالذهاب إلى فرعون فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (طه:٢٥-٢٦)

- **أما قوله تعالى:** ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ **فهي كقوله تعالى:** ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)
- **أما قوله تعالى:** ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ٤/٥٢٥ ": قال مجاهد: لا أُذكر إلا ذُكرتَ معي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا مُتشهدٌ ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم قال ابن كثير: حكي البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه. وأورد من شعر حسان بن ثابت:

١-لأمه: ضمه وجمع بعضه إلى بعض
٢- ظئره: أي: مرضعته
٣- منتقع اللون: أي متغير اللون

أغَـرُّ، عَلَيْـــهِ لِلنُّبُـوَّةِ خَـاتَمٌ ... مِـــنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَـــلُوحُ ويُشْهَدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمِهِ ... إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ
وشقّ لَـــهُ مِـــنِ اسمِهِ ليجلهُ ... فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه. (انتهي كلام ابن كثير).

وقال القرطبي –رحمه الله– في تفسيره" الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٠٧ ":

وروي عن الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول له: ما ذُكرتُ إلا ذُكرتَ معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلًا عبد الله–جل ثناؤه– وصدق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافرًا.

وقيل: أي أعلينا ذكرك، فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه.

وقيل: رفعنا ذلك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات. أ هـ

وقيل: أنه نزل عليه القرآن وفيه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ٤٤)

أي: شرف لك ولقومك وكرر اسمه في القرآن في مواطن كثيرة، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه– على الصلاة والسلام – ولا ينعقد لأحد إسلام إلا بالاعتراف برسالة النبي ﷺ والإقرار بها فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وجعل الله هذه الشهادة من أركان الإسلام وفي الجملة: فقد ملأ ذكره الجميل السماوات والأرضين.

١٣- أمرنا اللّه تعالى بالتأسي بهذا النبي الكريم -صلى اللّه عليه وسلم-:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)

فخير أسوة لنا هو نبينا محمد ﷺ نتأسى به في أقواله كما نتأسى به في أفعاله.

وهذه الآية تدل بوضوح على عصمة النبي ﷺ، لأن الله أمرنا بإتباعه، وطاعته مطلقه، وجعله أسوة لنا نقتدي به في كل أمورنا، لأنه لا يتصور عقلا ولا شرعًا أن يأمرنا الله تعالى باتباع من يزل أو يخطئ، فهذه الآية أكبر دليل على أن الله تعالى يعصم النبي ﷺ من الزلل والخطأ. وقد بين النبي ﷺ في أكثر من حديث أن هديه هو خير الهدي فكان إذا خطب يقول: ..... **وخير الهدي هدي محمد ﷺ** ". (رواه مسلم)

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: " **إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لأت وما أنتم بمعجزين** ". (رواه البخاري)

١٤- أثنى الله -تعالى- على نبيه وخليله -صلى الله عليه وسلم- بعظمه خُلُقِه:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)

وكفي بهذا شرفًا للحبيب النبي ﷺ أن يثني الله تعالى على خلقه وصدق القائل:

أيا مصطفي من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له الأغلاق

أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثني على أخلاقك الخلاق

وقد سئلت عائشة- رضي الله عنها- عن خلق النبي ﷺ فقالت: **" كان خُلُقه القرآن ".**

(رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح لغيره)

قال النووي -رحمه الله- في" شرحه على مسلم: ٣/٢٦٨":

ومعني الحديث:" العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته". أهـ

وقال ابن رجب في" جامع العلوم والحكم: ١/١٤٨":

" يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه، وجاء رواية عنها قالت: كان خلقه القرآن، يرضي لرضاه، ويسخط لسخطه". أهـ

وقال المناوي -رحمه الله- في فيض القدير: ٥/١٧٠:

"أي: ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلى غير ذلك. وقال القاضي: أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلَّى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلَّى عنه فكان القرآن خلقه". أهـ

ولقد جمع الله ﷻ للنبي ﷺ جمال الخَلْقِ، وجمال الخُلُقِ، فكم من رجل دخل الإسلام بمجرد رؤية النبي ﷺ.

وكان الناس إذا نظروا إلى النبي ﷺ علموا أنهم أمام نبي، وأنه ليس بوجه كذاب، لما فيه من الوضاءة والنضارة والحسن.

فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: **" لما قدم النبي ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ".**

وعن أبي رمثة التميمي قال كما عند الترمذي: **" أتيت النبي ﷺ ومعي ابن لي فأُريتُه، فلما رأيتُه قلت هذا نبي الله ".**

ويقول عبد الله بن رواحة في وصفه:

لو لم تكن فيه آياتٌ مبينة لكان منظرهُ ينبئُك بالخبر

فالله- سبحانه وتعالى- جعل في وجه النبي ﷺ حُسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته، وقد كان قبول منظره مستوليا على القلوب، فلم ينفر منه معاند، ولا استوحش منه مُباعد، إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته.

١٥- النبي -صلى الله عليه وسلم- أُعْطِيَ جوامع الكلم:

فالله سبحانه وتعالى فضل النبي ﷺ على غيره من الأنبياء بجوامع الكلم، فكان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ، الكثير المعاني.

- ***فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" فضلت عن الأنبياء بست: أُعطيتُ جوامعُ الكلم، ونصرت بالرعب، وأحِلتْ لي الغنائم، وجُعِلتْ لي الأرضُ طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كآفةً، وخُتِمَ بِيَ النبيون ".**

قال عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-: " ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصارًا، وفاق العرب في فصاحته وبلاغته ". (غاية السول في تفضيل الرسول صـ ٤٧)

فالنبي ﷺ كان يتكلم بالكلمات القليلة والتي تحمل المعاني الكثيرة.

- ***كقوله ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ:*** **" قل آمنت بالله ثم استقيم ".** (رواه مسلم)
- ***وقوله لمعاذ بن جبل:*** **" كف عليك هذا ".** وأشار إلى لسانه ". (رواه الترمذي)
- ***وقوله ﷺ:*** **" من صمت نجا ".** (رواه الإمام أحمد والترمذي)
- ***وقوله ﷺ:*** **" والكلمة الطيبة صدقة ".** (أخرجه البخاري ومسلم)
- ***وقوله ﷺ:*** **" اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة ".** (أخرجه البخاري ومسلم)
- ***وقوله ﷺ:*** **" اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ".**

(رواه الإمام أحمد والترمذي)

- ***وقوله ﷺ:*** **" الدين النصيحة " قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم ".** (رواه مسلم)
- ***وقوله ﷺ:*** **" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ".** (رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي)
- وغير ذلك مما ذكر في محاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته

يقول القاضي عياض -رحمه الله- في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١/١٧٣ ":

" وأما كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالا يوازى فصاحة، ولا يُبَارَى بلاغةً ". أهـ

١٦- النبي -صلى الله عليه وسلم- مُلئ قلبه إيماناً وحكمة:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﷺ عن مالك بن صعصعة رجلٌ من قومه: أن النبي ﷺ قال:

" بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلًا يقول أحد بين الثلاثة فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا ".

قال قتادة: قلتُ لأنس بن مالك: ما يعني؟ **قال: ... إلى أسفل بطني فاستخرج قلبي فغُسل قلبي بماء زمزم ثم أُعيد مكانه، ثم حُشي إيمانًا وحكمة ".** الشاهد في الحديث قوله ﷺ: **" ثم حُشي إيمانًا وحكمة ".**

١٧- النبي -صلى الله عليه وسلم- أرسله الله -تعالى- رحمة للعالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء: ١٠٧)

قال ابن عباس-رضي الله عنهما- في الآية السابقة: كان محمد ﷺ رحمةً لجميع الناس فمن تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوقب مما كان يبتلي به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف " (رواه ابن جرير الطبري:٨٣/١٧) (انظر تفسير القرطبي: ٣٥٠/١١)

وقال بعض العلماء في الآية السابقة: النبي ﷺ رحمة لجميع الخلق، للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب ". (انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفي للقاض عياض: ٥٧/١)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسي الأشعري ﷺ قال: **كان رسول الله ﷺ يسمي نفسه أسماء، فقال: أنا محمد، وأحمد، والمُقَفّى[١]، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة ".**

فالله- سبحانه وتعالى- أرسل النبي ﷺ رحمة للخلائق عامة مؤمنهم، وكافرهم، وإنسهم، وجنهم، وجعله رءوف رحيمًا بالمؤمنين خاصة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة:٦١)

- ***وأخرج الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" ..... أيما رجل من أمتي سببتُه سبة أو لعنتُه لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون وإنما بعثني رحمةً للعالمين، فأجعلها عليهم صلاة يوم القيامة ". (والحديث أصله في مسلم)

إنها الرحمة التي تفيض فشملت جميع الخلق حتى تكاد تقتل صاحبها أسى لما يرى من انصراف الخلق عن طريق الجنة إلى طريق النار.

- ***فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجَنَادِبُ[٢] والفراشُ يقعن فيها وهو يَذُبُّهُنَّ عنها وأنا آخذ بحُجَزِكُمْ[٣] عن النار، وأنتم تَفلَّتون[٤] من يدي ".**

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحُجَزِكُم وأنتم تقحمون[٥] فيه ".**

١- المقفى: هو المولي الذاهب: يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم، فإذا قفى فلا نبي بعده (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٩٤/٤)
٢- الجنادب: الصرار الذي يشبه الجراد، وقيل له أربعه أجنحة كالجرادة وأصغر منها، يطير ويصرّ بالليل صرًّا شديدًا.
٣- الحُجز: هي معقد الإزار والسراويل.
٤- تفلتون: تهربون مني.
٥- تقحمون: التقحم هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت.

وبلغ من رحمته ﷺ أنه كان يبكي خوفًا علينا من النار (بأبي أنت وأمي يا رسول الله)

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في ابراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم: ٣٦) وقول عيسى عليه السلام﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨) فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل عليه السلام، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنَّا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك".

- **فرحمة النبي ﷺ بالمؤمنين أمر واضح ظاهر لا يحتاج إلى بيان، وقد قال تعالى:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

ومما يدل على سعة رحمته بالمؤمنين ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز[1] في صلاتي، فما أعلم من شدة وَجْدِ[2] أمه من بكائه ". والأدلة على مدى رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين أكثر مما تحصى.

- **أما رحمته ﷺ بالكافرين:** حيث جاءهم بالبينات من عند الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، ومن رحمته بهم فإن الله- تعالى- رفع عنهم العذاب من خسف ومسخ وقذف وشتى أنواع العذاب بسبب وجوده ﷺ بين أظهرهم.

يقول عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-: ومن خصائص النبي ﷺ أن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين فأمهل عصاة أمته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم بخلاف من تقدمه من الأنبياء فإنهم لما كُذِّبوا عُوجِلَ مكذبُهُم

(غاية السول في تفضيل الرسول ص٦٥)

ومن صور رحمته ﷺ بالكافرين: ما حدث مع أهل الطائف-حيث كان يدعوهم إلى عبادة العزيز الغفَّار، يدعوهم إلى النجاة من النار، يمشي إليهم مسافة سبعة كيلومترات في حر الظهيرة؛ ومع هذا فلم يستجب له أهل الطائف، وسلَّطوا عليه صبيانهم وعبيدهم وسفائهم، يسبُّونه ويصيحون به، واجتمع عليه الناس ورشقوه بالحجارة وأصيب الرسول ﷺ في قدمه الشريفة، واختضبت نعله بالدماء الزَّكية، حتى ألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة – ابني ربيعة – ويأتيه جبريل، ***والحديث عند البخاري فيقول له:*** " إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملكُ الجبال فسلَّم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملكُ الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟[3] فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرِج اللهُ من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا".

١- أتجوز: أي أخفف

٢- وجد: حزن وقلق

٣- الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، وهما جبلا مكة: أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

بل انظر إلى هذه المرأة التي وضعت السُمَّ في كتف الشاة لقتل النبي ﷺ ثم هو يعفو عنها:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: **" إن امرأة يهودية[١] أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك أو عليّ، فقالوا: يا رسول الله ألا نقتلها؟ قال: لا. يقول أنس: فما زلت أعرفها في لهوات[٢] رسول الله ﷺ ".**

بل انظر إلى النبي ﷺ عندما دخل مكة منتصرًا عزيز الجانب، دخل على أهلها، وهم الذين طردوه منها وحاولوا قتله مرات عديدة فنادى فيهم: **"يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا. أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته:﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (يوسف:٩٢)، اذهبوا فأنتم الطلقاء"**

وغير ذلك من النماذج الكثيرة، والتي تدل دلالة واضحة على سعة رحمة الرسول ﷺ بالناس جميعًا

ففي صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة ﷺ: **" قيل: يا رسول الله ادعُ على المشركين، قال: إني لم أبعث لعَّانًا وإنما بعثت رحمة ".**

وفي رواية عند الحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أنما أنا رحمة مُهداة ".**

بل وصل من رحمته ﷺ أنه كاد أن يهلك نفسه كمدًا لعدم إسلام الكافرين فعاتبه ربه فقال له:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ[٣] عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا[٤]﴾ (الكهف: ٦)

- **بل بلغت رحمته ﷺ بالحيوان**

فقد أخرج أبو داود بسند حسن عن عبد الرحمن بن عبد الله ﷺ قال: **" كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرأينا حمرة[٥] معها فرخان لها، فأخذناهما، فجاءت الحمرة تعرش[٦]، فلما جاء الرسول ﷺ قال: مَن فجع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها ".**

ولقد عاتب النبي ﷺ رجلًا جوع جمله وكان يكثر عليه في العمل.

فقد أخرج أبو داود عن عبد الله بن جعفر-رضي الله عنهما- قال: **" أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلى حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأي النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: من رَبَّ هذا الجمل[٧] نزلت على النبي ﷺ مرجعه من الحديبية وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة وقد حيل بينهم وبين مساكنهم، ونحروا الهدي بالحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ؟ فجاء فتي من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تجيعُهُ وَتُدْئِبُهُ ".**

١- المرأة اسمها زينب بنت الحارث (امرأة سلام بن مشكم) وقتلها قصاصًا بعد ذلك في بشر بن البراء بن معرور لأنه أكل من الشاة، فأساغها فمات بها.
٢- لهوات: بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة وهي اللحمة المعلقة في أصل الحنك، وقيل: هي ما بين منقطع اللسان إلى منقطع أصل الفم
٣- باخع نفسك: أي قاتلها ومهلكها أو مجهدها.
٤- أسفا: غضبًا وحزنًا عليهم.
٥- طائر مثل العصفور.
٦- تعرش: ترفرف.
٧- أي من صاحب هذا الجمل

- ونهي النبي ﷺ أن تُصبر البهائم[1]

فقد أخرج البخاري ومسلم عند هشام بن زيد قال: دخلت مع أنس على الحكم بن أيوب فرأي غلمانًا – أو فتيانًا – نصبوا دجاجة يرمونها، فقال: أنس:" نهي رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحد أحدُكم شفرته، وليُرح ذبيحَتهُ ".

١٨- كفاية الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-:

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر:٣٦)

يقول السعدي–رحمه الله– في" تفسيره صـ ٧٢٥" عند هذه الآية: " فإن الله سيكفيه في أمر دينه ودنياه ويدفع عنه من ناوأه بسوء ". أهـ

وقال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر:٩٤-٩٥)

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره: ٢/٥٦٠: أي بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم". أهـ

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧)

تقول عائشة –رضي الله عنها–: " كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ﷻ".

(رواه الترمذي وابن أبي حاتم)

– وقد نقل ابن جرير الطبري –رحمه الله– عن سفيان الثوري أنه قال في هذه الآية:

" أي بلغ رسالتي وانا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك، ومظفرك بهم فلا تخف ولا تخزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك ". (انظر تفسير ابن كثير:٢/٧٩)

– وقال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: ص٢٣٩: " هذه حماية وعصمة من الله تعالى لرسوله ﷺ من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك. أهـ

١- تُصبر البهائم: أي تتخذ غرضًا لترمى بالنبل، فتقيد وتُوقف ويتسابقون أيهم يصيبها في رميته.

١٩- رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- عامة لجميع الناس:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم:٤)

فكان الأنبياء والرسل السابقون –عليهم الصلاة والسلام– يرسلون إلى أقوامهم خاصة.

كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ (الأعراف:٥٩)

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (الأعراف:٧٣)

وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ (الأعراف:٨٠)

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (الأعراف:٨٤)

أما نبينا ﷺ فرسالته عامة لجميع الناس عربهم، وعجمهم، وإنسهم، وجنهم، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى أن رسالة النبي ﷺ عامة لجميع الناس.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف:١٥٨)

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:١)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ (الأحقاف: ٢٩)

– ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي ..... *وفي الحديث:* وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ".

– ***وفي رواية عند مسلم:*** **" ..... كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود[١] ".**

قال عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله–: إن الله– تعالى– أرسل كل نبي إلى قومه خاصة، وأرسل نبينا محمدًا ﷺ إلى الجن والإنس، ولكل نبيٍ من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته، ولنبينا ﷺ ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه، تارةً لمباشرة البلاغ، وتارةً بالنسبة إليه، ولذلك تمنن عليه بقوله: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا**﴾ (الفرقان:٥١) ووجه التمنن: أنه لو بعث في كل قرية نذيرًا لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته ". (بداية السول في تفضيل الرسول ص ٤٦-٤٧)

١- أحمر وأسود: أراد بذلك جميع العالم فالأسود وهم الحبوش والزنوج وغيرهم، والأحمر هو الأبيض، والعرب تسمي الأبيض أحمر (انظر جامع الأصول لابن الأثير: ٥٢٩/٨)

٢٠- رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- ودينه ناسخ لجميع الأديان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥)

وتدل هاتان الآيتان بطلان كل دين غير دين الإسلام، وأن دين الإسلام ناسخ لجميع الأديان.

ويدل على هذا أيضًا ما أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

ومما يدل على عموم رسالة النبي ﷺ وأنها عالمية لجميع الناس قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح:٢٨)

فهذه الآية تصرح بأن دين الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ هو دين الحق وأنه ظاهر على جميع الأديان بقوة صحبته، وسماحة تعاليمه، ومسايرتها لكل زمان ومكان، وتمشيا مع الفطر السليمة والعقول القويمة، والله تعالى شهيد على ذلك وكفي بالله شهيدًا.

٢١- اتخذ الله - تعالى- النبي -صلى الله عليه وسلم- خليلًا وكفى بهذا شرفًا:

ففي صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ".

وخلة إبراهيم-عليه الصلاة والسلام- ثابتة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء:١٢٥)

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذن ابن أبي قحافة[١] خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله ".

والخلة أعلى مقامات المحبة فليس بعدها مقام، فهي أرفع من مقام المحبة ولم تثبت إلا لإبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال أهل العلم: والخلة لها معانٍ كثيرة:

فالخلة من العبد: هي الافتقار والانقطاع، فخليل الله هو المنقطع إليه وقيل: سمي الخليل خليلًا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللًا إلا ملأته، وقيل: هو الذي ليس في محبته خلل.

أما خلة الله للعبد: فهي نصرة العبد وجعله إماما لمن بعده وقيل: هي كامل المحبة والاصطفاء.

١- هو أبو بكر ﷺ

٢٢- اللّه - تعالى- أمر المؤمنين أن يقدموا محبة النبي الأمين -صلى اللّه عليه وسلم- فوق محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)

قال القاضي عياض-رحمه الله- كما في كتابه" الشفا بتعريف حقوق المصطفى":

فكفي بهذا حضًا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبة النبي ﷺ ووجوب فرضها واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله. أهـ

فيجب أن تقدم محبة النبي ﷺ على محبة الآباء والأبناء والزوجات والعشيرة. ***وفي ذلك يقول النبي ﷺ فيما يرويه البخاري ومسلم:*** **" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ".**

ولذلك تجد الصحابة يصدرون كلامهم " بأبي أنت وأمي يا رسول الله ".

وسئل علي بن أبي طالب ﷺ كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال:

" كان والله أحب إلينا من أموالنا واولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ ".

وروي ابن اسحاق والبيهقي وصاحب الدلائل: **أن امرأةً من الأنصارِ قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد، فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها قتلى فكلما استقبلت بواحد منهم حريقًا تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعد جلل.** (أي صغيرة هينة). ***وفي رواية قالت:*** **بأبي وأمي انت يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمتَ من عطب ".**

- **بل تقدم محبة النبي ﷺ على محبة النفس. قال تعالى:** ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦)

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن هشام ﷺ قال: " كنا مع النبي وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ﷺ فقال له عمر: يا رسول الله: لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر ".

والنبي ﷺ يبشر كل من يقدم محبه الله ومحبه رسوله على أي محبة مهما كانت:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: إن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ".**

ومعني حلاوة الإيمان كما ذكر العلماء- رحمهم الله-: هي استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك على أعراض الدنيا.

٢٣- الله تعالى لم ينادي النبي-صلى الله عليه وسلم- باسمه مجرداً، وهذا يدل على علو مكانه الحبيب النبي-صلى الله عليه وسلم-:

فعندما نادي الله- تعالى- على الأنبياء والمرسلين نادهم بأسمائهم المجردة:

كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:٣٥)

وقال تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ (هود:٤٨)

وقال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات:١٠٤-١٠٥)

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ (ص:٢٦)

وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل:٩)

وقال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ (مريم:٧)

وقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:١٢)

وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ (آل عمران:٥٥)

وهكذا في كثير من الآيات كان ينادي رب العالمين الأنبياء والمرسلين بأسمائهم، لكن عندما كان ينادي النبي ﷺ فكان يناديه باللقب المشعر بالتعظيم، فلا يناديه إلا بوصف النبوة والرسالة، وهنا تظهر علو رتبته ﷺ على الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة:٦٧)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة:٤١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الاحزاب:٤٥)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف:١٥٧)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:٦٤)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق:١)

وما ذكر الله اسم نبيه مجردًا إلا وقرنه بصفه الرسالة أو النبوة:

فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح:٢٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ (آل عمران:١٤٤)

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب:٤٠)

والله لا يعرف قدر النبي إلا الرب العلي سبحانه

فائدة: كانت الأمم قديما تخاطب رسلهم بأسمائهم المجردة **كقولهم:** ﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الاعراف:١٣٨) **وقولهم:** ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ (هود:٥٣)، **وقولهم:** ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ (الاعراف:٧٧)، ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى﴾ (المائدة:١١٢) فنهي الله- تعالى- أمة النبي ﷺ أن ينادونه باسمه المجرد.

فقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور:٦٣)

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- في هذه الآية: **"كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك: إعظامًا لنبيه ﷺ، وأمرهم أن يقولوا: يانبي الله، يا رسول الله ".** (تفسير القرطبي: ١٢/٣٢٢)

٢٤- النبي -صلى الله عليه وسلم- وجده الله يتيماً فآواه، وضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ (الضحى:٦-٨)

- **أما كونه يتيمًا فآواه:**

فوجه ذلك: أن الله سبحانه وتعالى قيد له عمه أبا طالب يحوطه ويرعاه ويمنعه ممن أراده بسوء، ويحنو عليه ويدافع عنه. وكذلك قيد الله له غير أبي طالب أيضًا، فقيد الله له المطعم بن عدي، فنزل النبي ﷺ في جواره.

وقيد الله له العموم من حفظه بإذن الله، صلوات الله وسلامه عليه.

- **أما كونه كان ضالًا فهداه الله:**

فلأهل العلم في ذلك جملة أقوال، ذكر الرازي منها عشرين وأشهر هذه الأقوال ما يلي: **القول الأول:** أنه عليه الصلاة والسلام كان ضالًا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، لا يدري ما الكتاب ولا الأيمان، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى:٥٢) وكذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف:٣)

القول الثاني: أنه عليه الصلاة والسلام كان قد ضل في شعاب مكة وهو صغير فرده الله سالمًا.

القول الثالث: أنه سبحانه وجده في قوم ضلال فهداهم الله به، والله تعالى أعلم.

- **أما كونه كان عائلًا فأغناه الله:**

فمن العلماء من قال: إن هذا الغني يتمثل فيما فتحه الله عليه من الفتوحات والكنوز، وما منَّ اللهُ بهِ عليه من الغنائم وتحليلها له، لكن هذا القول قد رده بعض العلماء متعللين بأن السورة مكية والفتوحات إنما كانت بعد الهجرة.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالغني هنا: غني النفس والقناعة، فقد قنعه الله بما آتاه.

ومن أهل العلم من قال: إن الله ﷻ أغناه بما وهبته له خديجة بنت خويلد وأعطته من مالها، والله أعلم.

(إمام المتقين للشيخ مصطفي العدوي حفظه الله صـ ١٧-١٨)

٢٥- أعطى الله - تعالى- للنبي -صلى الله عليه وسلم- الكثير من أسمائه الحسنى وكفى بهذا فضلًا وتشريفًا:

يقول القاضي عياض-رحمه الله- في كتابه" الشفا بتعريف حقوق المصطفي صـ ٢٢٠":

إن الله- تعالى- خص كثيرًا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم من أسمائه، كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم، ونوح بشكور، وعيسى، ويحيى ببر، وموسى بكريم، وقوي، ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد، كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم.

وفضَّل الله ﷻ النبي ﷺ بأن حلَّاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.:

- فمن أسمائه تعالى: الحميد ومعناه المحمود، لأنه حمد نفسه وحمده عباده، ويكون أيضًا بمعني الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات.

وسمي الله ﷻ النبي ﷺ محمدًا وأحمد، فمحمد بمعني محمود، وأحمد بمعني أكبر من حُمِد وأجل من حُمِد، وأشار إلى نحو هذا حسان[١] بقوله:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

- ومن أسمائه تعالى: الرؤوف الرحيم **كما في قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣) وهما بمعني متقارب، وقد سماه في كتابه بذلك، **فقال:** ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)

- ومن أسمائه تعالى الحق المبين **كما في قوله تعالى:** ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور:٢٥) ومعني الحق: الموجود والمتحقق أمره، وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته، ويكون بمعني المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم، وسمي النبي ﷺ بذلك في كتابه **فقال:** ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (الزخرف:٢٩) **وقال تعالى:** ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (الحجر:٨٩) **وقال تعالى:** ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (يونس:١٠٨) **وقال:** ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (الأنعام:٥) قيل: محمد، وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره، وهو بمعني الأول، والمبين: البين أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به **كما قال تعالى:** ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤).

- ومن أسمائه تعالى: النور: منور السماوات والأرض بالأنوار، ومنور قلوب المؤمنين بالهداية، وسمى الله تعالى محمدًا نورًا، **فقال:** ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة:١٥) قيل: محمد، وقيل القرآن[٢].

وقال فيه: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين بما جاء به.

- ومن أسمائه تعالى: الشهيد ومعناه: العالم وقيل: الشاهد على عباده يوم القيامة، وسماه شهيدًا وشاهدًا، **فقال تعالى:** ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ **وقال تعالى:** ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وهو بمعني الأول.

١- هو حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ

٢- وعلى الراجح هو القرآن

– ومن أسمائه تعالى: الكريم، ومعناه الكثير الخير، وقيل: المفضل، وقيل: العفو، وقيل: العلي، وسماه تعالى كريمًا **بقوله:** ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (الحاقة:٤٠) " قيل: محمد، وقيل: جبريل.

– ومن أسمائه تعالى: العظيم ومعناه: الجليل الشأن الذي كل شيء دونه، **وقال في النبي** ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)

– ومن أسمائه تعالى في الحديث: الشكور ومعناه: المثيب على العمل القليل، وقيل المثني على المطيعين، ووصف بذلك نبيه نوحًا عليه السلام **فقال:** ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الأسراء:٣) وقد وصف النبي ﷺ نفسه بذلك **فقال:** " **أفلا أكون عبدًا شكورًا؟** ". أي معترفًا بنعيم ربي عارفًا بقدر ذلك مثنيًا عليه مجهدًا نفسي في الزيادة من ذلك **لقوله تعالى:** ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (ابراهيم:٧)

– ومن أسمائه تعالى: القوي وذو القوة المتين ومعناه: القادر، وقد وصفه الله– تعالى– بذلك **فقال:** ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير:٢٠) " قيل: محمد، وقيل: جبريل.

– ومن أسمائه تعالى: العفو ومعناه: الصفوح، وقد وصف الله– تعالى– بهذا نبيه في القرآن والتوراة وأمره بالعفو **فقال تعالى:** ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ (الأعراف:١٩٩) **وقال:** ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ (المائدة:١٢)

– ومن أسمائه تعالى: الهادي وهو بمعني: توفيق الله لمن أراد من عباده، وبمعني الدلالة والدعاء **قال الله تعالى:** ﴿اللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يونس:٢٥) " **وقال الله تعالى له:** ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢) وقال فيه: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ (الأحزاب:٤٦)

فالله– تعالى– مختص بالمعني الأول، **قال تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص:٥٦) وبمعني الدلالة ينطلق على غيره تعالى. أهـ بتصرف واختصار

٢٦- النبي -صلى الله عليه وسلم- يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

" إياكم والوصال " قالها ثلاثا– قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: إنكم لستم في ذلك مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون ".

وقول النبي ﷺ: " **إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني** " حمل البعض هذا اللفظ على حقيقته، وهذا بعيد لأنه لو أكل أو شرب لم يكن مواصلًا، والبعض حمل اللفظ على المجاز فيكون المعني: ما يغذيه الله من معارفه ولذه مناجاته فيقوي بهذا الغذاء الروحي حتى أنه يستغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان.

فإذا امتلأ القلب بمحبة الحبيب وملك جميع أجزاءه استغنى الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحسي. وكما قيل: لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد

٢٧- حرمة رفع الصوت فوق صوته -صلى الله عليه وسلم-:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢)

وقد أثني الله تعالى على أبي بكر ﷺ وعلى غيره ممن التزموا هذا الأدب مع النبي ﷺ، **فقال الله عنهم:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات:٣)

– وانظر إلى أدب الصحابة مع النبي ﷺ وتوقيره حيث كانوا يخفضون الصوت عنده ولا يحدون النظر اليه ويتبادرون أمره. كما جاء في حديث طويل وهو عند البخاري وفيه: " أن عروة بن مسعود الثقفي قال لقريش: **أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسري والنجاشي والله ما رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحابُ محمدٍ محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له .....** ". ***الحديث***

– **وقال بعض العلماء في قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ (الحجرات:٢) أي: لا ترفعوا عنده الصوت كرفع بعضكم صوته عند غيره.

٢٨- حرمة ايذائه -صلى الله عليه وسلم- ولو بمباح:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٣)

وتفيد الآية: أن ما يؤذي النبي ﷺ يحرم فعله ولو كان مباحًا.

٢٩- حرمة التقدم بين يديه -صلى الله عليه وسلم- بقول أو فعل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات:١)

فالله تعالى في الآية الكريمة نهي عن الاقتراح او التقدم بين يدي النبي ﷺ بقول أو فعل، واعتبار التقدم بين يديه تقدما بين يدي الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا لا يجوز لشخص أن يقدم رأيا من الأراء على حديث صح عن النبي ﷺ.

٣٠- تكفل الله -تعالى- بحفظ النبي -صلى الله عليه وسلم- والاعتناء به وعصمته:

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (الطور:٤٨)

والآية تدل على كمال عصمة النبي ﷺ من الزلات، ورفعة منزلته، وعلو شأنه في الدنيا والآخرة، لأن هذا مقام من رعاه الله وحفظه، وكان بمَرْأى ومسمع منه في جميع أحواله. ويظهر هذا الحفظ في كثير من المواقف ومراحل حياة النبي ﷺ:

أ - حفظ الله تعالى له -صلى الله عليه وسلم- من الصغر:

قال ابن إسحاق-رحمه الله-: " فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلًا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ".

(سيرة ابن هشام مع الروض الأنف:٢٠٧/١)

وكان رسول الله ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته فقال: " لقد رأيتني في غلمان من قريش، ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان، كلنا قد تعري وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم-ما أراه- لكمة وجيعة، ثم قال: شد عليك إزارك، قال: فأخذته فشددته عليّ ثم جعلت الحجارة على رقبتي، وإزاري عليّ من بين أصحابي ".

- ***وجاء بلفظ آخر في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه قال:*** لما بُنِيَتْ الكعبةُ ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة، فقال العباس لرسول الله ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال: " إزاري إزاري " فشد عليه إزاره.

- ***وفي رواية عند البخاري ومسلم أيضًا:*** " فحلَّه - أي الازار- فجعله على منكبيه فسقط مغشيًا عليه، فما رؤي بعد ذلك عريانًا ".

ب - ومن صور حفظ الله تعالى لنبيه: تطهير قلبه من حظ الشيطان:

- ***كما مر بنا في الحديث الذي أخرج الامام مسلم من حديث أنس رضي الله عنه*** أن رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طستٍ من ذهبٍ بماء زمزم، ثم لأمهُ ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمانُ يسعون إلى أُمه(يعني: ظئره) فقالوا: إن مُحمدًا قد قُتل فاستقبلوه وهو مُنتقعُ اللون ".

- قال أنس رضي الله عنه: وقد كنتُ أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

جـ - ومن صور حفظ الله لنبيه: أنه سبحانه صانه من شرك الجاهلية وعبادة الأصنام:

ومن أولى بهذه المنقبة من صاحب الرسالة العصماء التي هي أسمح الشرائع في العمل، وأشدها في إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك

وقد أخرج الامام أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: **أي خديجة والله لا أعبد اللات والعُزى، قال: كان صنمهم الذي كانوا يعبدون ثم يضطجعون ".** (قال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح)

فقد حفظ الله نبيه من أقذار الجاهلية وأدرانها لتكون حياته كلها صفحة بيضاء ناصعة البياض ليس فيها شائبة، فهو القدوة والأسوة للكون كله في كل زمان ومكان.

وكذلك كان النبي ﷺ لا يأكل مما ذُبح على النُّصُب، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نُفيل

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- **أن النبي ﷺ لقي زيدَ بنَ عمرِو بن نفيل بأسفل بلدح[1] قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سُفرة فأبى أن يأكل منها[2]، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله .... إنكارا لذلك وإعظاما له ".**

وكذلك توفيقه ﷺ للوقوف بعرفة قبل البعثة مخالفة لما ابتدع قومه من رأي الحُمس (وكانت قريش تُسمَّي الحُمس)، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظَّمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يقفون بعرفة يوم عرفة، وكان سائر الناس يقفون بعرفة، وكانت شريعة محمد ﷺ بعد ذلك الوقوف بعرفة.

كما قال تعالي: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٩٩)

وقد أخرج البخاري ومسلم: عن محمد بن جُبير عن أبيه جُبير بن مطعم قال: **أضللت بعيرًا لي، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي ﷺ: واقفا بعرفة فقلت:" هذا والله من الحُمس فما شأنه ههنا".**

د - ومن صور حفظ الله لنبيه: أن أعانه الله على قرينه حتى أسلم:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- **أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلًا، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: " ما لك يا عائشة أغرتِ " فقلتُ: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك، قالت: يا رسول الله أو معي شيطان قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله، قال: نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم ".**

١- بلدح: ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٤٨٠/١) وقال: وادٍ قبل مكة من جهة المغرب. وقال الحافظ - رحمه الله- في الفتح: مكان في طريق التنعيم، ويقال هو وادٍ.

٢- قال الألباني- رحمه الله-: توهم زيد أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد ﷺ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيثاق لنفسه، والإعلان عن مذهبه، وقد حفظ النبي ﷺ له ذلك وسُرّ به (هامش فقه السيرة للغزالي: صـ٨٧)

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير ".

ـ *وفي حديث عائشة* أنه سمي القرين شيطانا".

هـ - ومن صور حفظ الله لنبيه ما قاله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الشعراء:٢١٧-٢٢٠)

الشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ وهي رؤية خاصة، المقصود بها العناية والحفظ، وليست رؤية إدراك وإحاطة، حيث إنها وردت بعد الأمر بالتوكل، وكأنها تحثُ عليه وتُرغب فيه، ولو كانت رؤية عامة، ما كان لذكرها مزية بعد الأمر بالتوكل، لأن الرؤية العامة تشمل الناس جميعًا: متوكلين وغير متوكلين.

ومثال الرؤية الخاصة: قوله تعالى لموسى وهارون: -عليهما السلام- ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:٤٦)

و - ومن صور حفظ الله لنبيه: أن عصمه أن يأكل من هذه الشاة المسمومة التي أهدتها له امرأة يهودية:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عند أنس ﷺ قال: " إن امرأة يهودية[1] أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال، ما كان الله ليسلطك على ذلك أو عليّ، فقالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا[2]، يقول أنس ﷺ فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ ".

٣١- الأمر بالصدقة بين يدي نجواه -صلى الله عليه وسلم-:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المجادلة:١٢)

وهذه الآية تدل على عناية الله- تعالى- بالنبي ﷺ وتكريمه وتشريعه والجهار فضله وعظيم مكانته.

يقول ابن كثير -رحمه الله- في" تفسيره: ٤/ ٣٢٧"عند هذه الآية:

أمر الله عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله، لأن يصلح لهذا المقام. أهـ

---

[1] - المرأة: أسمها زينب بنت الحارث (امرأة سلّام بن مشكم)

[2] - وقتلها النبي ﷺ بعد ذلك قصاصًا في بشر بن البراء بن معرور لأنه أكل من الشاة، فأساغاها فمات بها.

٣٢- تسلية الله - عز وجل- للرسول -صلى الله عليه وسلم-:

والمقصد من تسلية الله– تعالى– للرسول ﷺ هي: أن يخفف الله تعالى عنه ما يلقاه في سبيل الدعوة من إيذاء فيصبره على تكذيب الكفار له، ويخفف عنه حزنه وغمه وهمه، ويهون عليه، وأن هذا سبيل كل من جاء قبله من الرسل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١٠)

قال الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسير الآية ما نصه: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسليًا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقي منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف في ذات الله: هون عليك يا محمد ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيهم وإصرارهم على المقام على كفرهم نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المُثلات بهم ". (تفسير الطبري: ١٥٣/٧)

وقال ابن كثير–رحمه الله–: " هذه تسلية للنبي ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ووعدٌ له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ". (تفسير ابن كثير: ١٢٥/٢)

- ***من صور تسلية رب العالمين للنبي الأمين ﷺ قوله تعالى:*** ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (الذاريات: ٥٤)

يقول القرطبي –رحمه الله– في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن: ٥٤/١٧: عن هذه الآية:

" أي أعرض عنهم واصفح عنهم، فما أنت بملوم عند الله لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة، ثم نقل عن مجاهد قوله " ليس يلومك ربك في تقصير كان منك ". أهـ

فالله ﷻ أراد أن يسلي عن نبيه ويبين له أن إعراض المشركين عن دعوته ليس بسبب تقصيره في النصح والإرشاد أو ضعف في الحجة والبيان، بل هو بسبب تكبرهم وجحودهم وتكذيبهم.

كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة:٤١)

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (يس:٧٦)

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (فاطر:٤)

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام:٣٣)

- **ومن صور تسلية الله تعالى لنبيه ﷺ أنه سبحانه وعده بالنصر على عدوه:**

فقال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر:٤٥) وهي آية مكية ... وحدث النصر والتمكين في المدينة المنورة.

٣٣- اللّه - عز وجل- يعتني بالنبي -صلى اللّه عليه وسلم- وكفى بهذا شرفًا:

واعتناء الله تعالى يظهر في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

ومنها قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور:٤٨)

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم:٤)

والشاهد في الآية على اعتناء الله- سبحانه وتعالى- بالنبي ﷺ غاية العناية: أن الآية ذكرت أن الله ﷻ هو مولي النبي ﷺ، والمولي هو المعين والناصر، وهو الذي يتولى أمر مولاه في كل شئونه.

يقول السعدي-رحمه الله- في" تفسيره "عند هذه الآية: أي الجميع أعوان للرسول ﷺ مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره- مما يناوئه - مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين ﷺ حيث جعل البارئ نفسه الكريمة وخواص خلقه أعوانًا للرسول الكريم ﷺ. أهـ

وتظهر هذه العناية أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠)

الشاهد في الآية: أنها أثبتت معية الله ﷻ لنبيه ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ .

وقال تعالى حاكيًا عن نبيه ﷺ أنه قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وهي معية خاصة، لأنها ذكرت بعد النهي عن الحزن الذي حصل بسبب خوف أبي بكر الصديق على الرسول ﷺ، وارتفع هذا الخوف بعلمه أن الله معهما بنصره وتأييده، فلن يصل إليهما أذى الكفار.

ويؤكد هذا المعنى ما رواه البخاري ومسلم عن أنس ﷺ عن أبي بكر ﷺ قال:" قلتُ للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال:" ما ظنك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثهما ".

أما المعية العامة، والتي يقصد بها العلم والإحاطة، ففي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة:٧)

٣٤- النبي -صلى اللّه عليه وسلم- كلَّمه اللّه - عز وجل-:

فإذا كان النبي ﷺ قد شارك إبراهيم في منزلة الخلَّة، فقد شارك موسي عليه السلام في كونه كلم الله- تعالى- كما كلمه موسي عليه السلام وكان هذا في رحلة الإسراء والمعراج والله- تعالى- لم يخص نبيًا من الأنبياء بفضيلة إلا كان للنبي ﷺ أوفر الحظ منها.

٣٥- النبي -صلى الله عليه وسلم- مستجاب الدعوة:

كان رسول الله ﷺ كما وصفه ربه ﷻ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨) فكان ينظر إلى أصحابه نظرة الرحمة والشفقة فكلَّما أَلَمَّ بأصحابه مكروه من عاهة أو مرض أو تفكير في أمر يشغل بالهم أسرع رسول الله ﷺ بالدعاء لهم للتخفيف عنهم ولكي ينالوا بركة دعوته ﷺ فيحصل لهم ما يريدون من دفع شر وجلب خير دنيوي أو أخروي أو هما معا أما بالنسبة للكفار والمشركين والمعاندين فقد كان رسول الله ﷺ يدعو عليهم حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم وتارة كان يدعو لهم حيث تؤمن غائلتهم ويرجي تآلُفُهم.

وإذا دعا رسول الله ﷺ لأناس أو دعا عليهم فإنك تجد ما دعا به قد تحقق قطعًا.

وكثرة الحوادث في هذا الباب تجعل الإنسان على يقين كامل أن محمدًا رسول الله وأن الله- تعالى- يؤيده ويسدده ويستجيب دعاءه، وإجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة بما دعا لهم أو عليهم مُتواترٌ على الجملة معلوم بالضرورة. (انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفي للقاض عياض: ٦٢٥/١)

ولرسول الله ﷺ من الدعوات المستجابات ما لا يحصي كثرة مما حفلت به مصنفات الحديث ومدونات السيرة وهذه نخبة مختارة من هذه الدعوات على سبيل الإشارة:

١ -أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ: **أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ(١) وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ(٢)، فَادْعُ اللَّهَ يُغِثْنَا(٣)، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ" :اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ". قَالَ أَنَسٌ ﷺ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ(٤) وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ(٥) مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ(٦) فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ حَوْلَنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ(٧) وَالظِّرَابِ(٨) وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ"، فَانْقَلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ ".**

١- هلكت الأموال: المراد بالأموال هنا المواشي خصوصا الإبل وهلاكها من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات.
٢- وانقطعت السبل: جميع سبيل وهي الطريق والمعني: انقطعت الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكلأ أو عدمه.
٣- أغثنا: الإغاثة: الإعانة والمراد به: إعانتهم بإنزال المطر
٤- قزعة: بالتحريك هي القطعة من الغيم والجمع قزع.
٥- سلع: جبل قرب المدينة.
٦- مثل الترس: الترس هو ما يتقي به السيف ووجه الشبه الاستدارة والكثافة لا القدر.
٧ - الاكام: جمع اكمة وهي الرابية المرتفعة من الأرض.
٨- الظراب: جمع ظرب، وهي صغار الجبال والتلال.

٢ – وفي رواية عند البخاري قال أنس بن مالك ﷺ: أصابت الناس سَنَةٌ على عهد النبي ﷺ فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نري السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمُطرنَا يومَنَا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسول الله! انقطعت السبل وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجَوْبَةِ[١]، وسال الوادي قناةٌ شهرًا، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدَّث بالجَود[٢]".

٣–أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس وقد نحرتْ جزور[٣] بالأمس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا[٤] جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم[٥] فأخذه. فلما سجد النبيُّ ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا[٦]. وجعل بعضهم يميل على بعض. وأنا قائم أنظر. لو كانت لي منعةٌ[٧] طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ. والنبي ﷺ ساجد، ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسانٌ فأخبر فاطمة. فجاءت وهي جويريةٌ[٨] فطرحته عنه. ثم أقبلت عليهم تشتمهم[٩] فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا، دعا ثلاثا. وإذا سأل، سأل[١٠] ثلاثا. ثم قال:" اللهم عليك بقريش– ثلاث مرات–. فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك. وخافوا دعوته. ثم قال:" اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة[١١]، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعيط، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا بالحق لقد رأيت الذين سمَّى صرعى يوم بدر. ثم سُحبوا إلى القَليبِ، قَلِيبِ بَدْرِ[١٢].

١- الجوبة: الموضع المنخفض من الأرض.
٢- بالجود: الجود بفتح الجيم هو المطر الغزير.
٣- جزور: أي ناقة
٤- سلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية المشيمة.
٥ - فانبعث أشقي القوم: أي بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير، وهو عقبة بن أبي معيط، كما صرح به في الرواية الثانية.
٦- فاستضحكوا: أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جدا، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.
٧- لو كانت لي منعة: هي بفتح النون، وحكي إسكانها، وهو شاذ ضعيف، ومعناه لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني.
٨ - جويرية: هو تصغير جارية، بمعني شابة، يعني أنها إذ ذاك ليست بكبيرة.
٩- تشتمهم: الشتم وصف الرجل بما فيه إزراء ونقص.
١٠- وإذا سأل: هو الدعاء، لكن عطفه لاختلاف اللفظ، توكيدًا.
١١- والوليد بن عقبة: هكذا هو في جميع نسخ صحيح مسلم: والوليد بن عقبة، واتفق العلماء على أنه غلط وصوابه والوليد بن عتبة، كما ذكر مسلم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة، بعد هذا.
١٢- ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر: القليب هي البئر التي لم تطو، وإنما وضعوا في القليب تحقيرا لهم، ولئلا يتأذى الناس برائحتهم، وليس هو دفنا، لأن الحربي لا يجب دفنه.

٤- *وأخرج الإمام مسلم من حديث عن أبي هريرة ﷺ قال:* " كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهديَ أمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهد أم أبي هريرة، فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف[١] فسمعت أمي خشف[٢] قدمي فقالت مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة[٣] الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا قال قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا قال فقال رسول الله ﷺ اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني " .

٣٦- النبي -صلى الله عليه وسلم- أُعْطِي مفاتيح خزائن الأرض:

أكرم الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ وأختصه على غيره من الأنبياء بأن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض وهي ما سهل الله تعالى له ولأمته من بعده من افتتاح البلان المتعذرات والحصول على كنوزها وذخائرها ومغانمها واستخراج الممتنعات من الأرض كمعادن الذهب والفضة وغيرها ويحتمل أعم من ذلك. والله أعلم

(انظر فتح الباري: ١٢/٤٤٢)

- *فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:* " بعثت بجوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، فبينما أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة، وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تَنْتَثِلُونها[٤] ".

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " بينما أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي وأهماني، فأوحي إليّ أن أنفخهما فنفختُهما فطارا، فأولتُهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة[٥] ".

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عقبة ﷺ* أن النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أُحُد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: أني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض– وإني والله ما أخافُ عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ".

١- مجاف: أي مغلق.
٢- خشف: أي صوتهما في الأرض.
٣- خضخضة: خضخضة الماء صوت تحريكه.
٤- وأنتم تنتثلونها: بوزن تفتعلونها- من النثل بالنون والمثلثة- تقول: نثلت البئر إذا استخرجت ترابها، ونثل كنانته نثلا: استخرج ما فيها من النبل، والمقصود بها في الحديث (وأنتم تنتثلونها) يعني الأموال وما فتح عليهم من زهرة الدنيا (انظر فتح الباري: ٦/١٤٩) (لسان العرب:١١/٦٤٥)
٥- صاحب صنعاء: الأسود العنسي، وصاحب اليمامة: مسيلمة الكذاب

٣٧- الله تعالى يعطي النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يتمني دون أن يسأل، فهو سبحانه يسارع في هوى النبي- صلى الله عليه وسلم-:

بأبي هو وأمي كان لله، فكان الله له، وكان ﷺ أكثر الخلق مسارعة في مرضاة الله- تعالى-، فكان الله أسرع في مرضاته، ويعطيه دون أن يطلب، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١- الاستجابة في تحويل القبلة دون طلب منه... فقد كان النبي ﷺ ينظر إلى السماء ويتطلع إليها، متمنيًا تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، فهي قبلة أبيه ابراهيم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة:١٤٤)

وأخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه: " أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك" .

٢- وانظر إلى موسي عليه السلام الذي اصطفاه الله على عينه، وناداه من جانب الطور الأيمن، وقرب نجيًا، وكلمه تكليما. يقول لربه ﷻ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه:٨٤) لكن الله تعالى: يقول لحبيبه ومصطفاه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى:٥) وما كان هذا إلا لإظهار فضل النبي ﷺ على سائر الخلق وجميع الرسل.

٣- ويقول موسي-عليه السلام- أيضًا لربه ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (طه:٢٥)

فطلب موسي من الله ﷻ ما لم يكن عنده فأجابه تعالى بعد أن طلبه.

وعلم الله من حبيبه أن يريد ذلك فسارع في الإجابة قبل أن يطلبه **فقال تعالى:** ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح:١)

٤- وكانت عائشة- رضي الله عنها- تقول للنبي ﷺ: ما أري ربك إلا يسارع في هواك " وقالت ذلك عندما نزل قول الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ (الأحزاب:٥١)

والحديث عند البخاري من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: " كنتُ أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول:" أتهب المرأة نفسها"؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قلت:" ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك".

٣٨- الأشجار والأصحاب والحيوانات يحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتأدبون معه، ويشهدون له بالرسالة، ويسلمون عليه:

جبل أُحُد يحب النبي -صلى الله عليه وسلم-:

- فالنبي ﷺ يمر يومًا هو وأصحابه أمام جبل أحد فيقول: " أُحُد جبل يحبنا ونحبه ". (رواه البخاري ومسلم)

- ولما صعد عليه النبي ﷺ وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان فأهتز الجبل فرحًا وطربًا فقال له النبي ﷺ: " أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ". (رواه البخاري)

حنين جزع النخلة للنبي -صلى الله عليه وسلم-:

-*فقد أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-* أن النبي ﷺ كان يقوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالتْ امرأةٌ مِنَ الأنصار أو رجل: يا رسولَ اللهِ ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إِنْ شِئْتُمْ، فجعلوا له منبرًا، فلمَّا كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلةُ صياح الصبيِّ، ثم نزل النَّبيّ ﷺ فضمَّها إليه تئن أنين الصبيِّ الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها ".

- *وفي رواية أخري عند البخاري أيضًا عن جابر ﷺ قال:* كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار[1] حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت.

- *وفي رواية عند الإمام أحمد:* " ..... ولو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة ".

- *وفي سنن الدرامي بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:* كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس فجاءه رومي فقال ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه وكأنك قائم فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد حزنا على رسول الله ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ثم قال: أما والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ فأمر به رسول الله ﷺ فدفن. (الصحيحة: ٢١٧٤)

الحصى والطعام يسبح بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم-:

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال:" حي على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤْكَلُ ".

- *وفي رواية:* " أنهم كانوا يسمعون صوت تسبيح الحصى بين يدي النبي ﷺ ".

---

[1]- العشار: جمع عشراء، وهي الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها (جامع الأصول: ٣٣٣/١١)

الحجر يسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن ".

قال الإمام النووي -رحمه الله- على شرحه على مسلم: ١٥/٥٣: قوله ﷺ: **" إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن "**، فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: **﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾** (البقرة:٧٤) وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾** (الاسراء:٤٤) وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه ..... ومنه الحجر الذي فر بثوب موسي ﷺ، وكلام الذراع المسمومة، ومشي إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبي ﷺ وأشباه ذلك. أهـ

تأدب الحيوانات معه -صلى الله عليه وسلم-:

أخرج الإمام أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: **كان لآل رسول الله ﷺ وحش[١]، فكان إذا خرج رسول الله ﷺ أشتد ولعب في البيت، فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه ".**

- وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ اسْتُصْعِبَ عَلَيْنَا، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: " قُومُوا، فَقَامُوا فَدَخَلَ الْحَائِطَ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَتِه، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: يَا رسولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ[٢]، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ " لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ " فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ، حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا نبيَّ اللَّهِ، هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ ! فَقَالَ: " لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ قُرْحَةٌ تَنْبَجِسُ بِالْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْهُ فَلَحَسَتْه، مَا أَدَّتْ حَقَّهُ"** .(صحيح الترغيب والترهيب:١٩٣٦)

إذعان الأشجار له -صلى الله عليه وسلم-:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:

" أَتى النبيَّ رجلٌ من بني عامر، فقال: يا رسول الله أَرِنِي الخاتم الذي بين كتفيك، فإني أطْبَبُ[٣] الناس، فقال له رسول الله ﷺ: ألا أُريكَ آيةً؟ قال: بلي، قال: فنظر إلى نخلة فقال: ادْعُ ذلك العِذقَ، قال: فدعاه فجاء يَنْقُزُ، حتى قام بين يديه فقال له رسول الله ﷺ:" ارجع "، فرجع إلى مكانه ..... ". *الحديث*

١- وحش: أصل الوحش كل مالا يستأنس من دواب البر، لكن الذي يتبارد إلى الذهن هنا أنه القط والله أعلم (أفاده الشيخ مصطفي العدوي حفظه الله)
٢- أي المفترس
٣- فإني أطبب: كذا في المسند، والذي يبدو أن الصواب " من أطب الناس " أي أعلمهم بالسحر

- وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال:

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ:" أين تريد؟" قال: إلى أهلي. قال:" هل لك إلى خير؟" قال: ما هو؟ قال:" تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله". قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: "هذه السَّلِمَةُ[1] "، فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تَخُدُّ[2] الأرض خدًّا فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا فشهدت أنه كما قال، ثم أنها رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال: إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعتُ إليك وكنتُ معك " .

٣٩- طاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- واتباع سنته سبيل للخروج من الفتن ومحدثات الأمور:

ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا النبي ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيري اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ".

٤٠- النبي -صلى الله عليه وسلم- لو وزن بأمته لوزنهم:

قال النبي ﷺ: " أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا[3]، أَتَانِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، فَأَخَذَانِي، فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلا بَطْنِي وَقَلْبِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا ".(اورده الحافظ ابن كثير في " البداية والنهاية: ٢/٢٧٥ " وقد نقله عن ابن إسحاق في سيرته)

(ورواه الطبري في تفسيره: ٣/٨٢/٢٠٧٠) (والحاكم في المستدرك وصححه الألباني في الصحيحة:١٥٤٥)

١- السَّلِمَةُ: شجرة من أشجار البادية
٢- تَخُدُّ: أي تشق
٣- بَهَم: غنم صغار

٤١- اللّه - تعالى- يصلي[١] على النبي -صلى اللّه عليه وسلم- هو والملائكة[٢]:

وأمر الله– تعالى– كذلك المؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ ليجتمع له الفضل والثناء في الملأ الأعلى والعالم السفلي فصلوات ربي وسلامه عليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦)

- يقول ابن كثير –رحمه الله– في" تفسيره: ٣/٥٢٣" عند هذه الآية:

" والمقصود من هذه الآية أن الله– سبحانه وتعالى– أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر الله– تعالى– أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ﷺ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا ". أهـ

- وقال ابن القيم –رحمه الله– في كتابة جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام:

والمعني أنه إذا كان الله– تعالى– وملائكته يصلون على النبي ﷺ فصلوا أنتم عليه أيضًا، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليما لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته من خير وشرف الدنيا والآخرة. أهـ

وحسبك بالصلاة على النبي ﷺ أن الله تعالى يثني على من صلى على النبي ﷺ.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من صلي عليّ صلاة واحدة صلي الله عليه بها عشرًا ".

صفة الصلاة على النبي -صلى اللّه عليه وسلم-:

أفضلها ما علمه النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: " أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ[٣] ".

تخصيص ملائكة سياحة في الأرض تبلغ النبي -صلى اللّه عليه وسلم- سلام أمته:

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام ". (صحيح الجامع: ٢١٧٤)

١- صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة في الملأ الأعلى " ذكره البخاري تعليقا بصيغة الجزم عن أبي العالية -رحمه الله - " وذكر البخاري أيضا عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: يصلون: أي يباركون

٢- صلاة الملائكة: هي الدعاء بالمغفرة والرحمة كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إن الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مجلسه تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث، وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه.

٣- كما قد علمتم: أي قد أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام علي، فأما الصلاة فهذه صفتها، وأما السلام فكما علمتم في التشهد، وهو قولهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "ما من أحد يسلم علي، إلا رد الله إليّ روحي، حتى أرد عليه السلام". (الصحيحة: ٢٢٦٦) (صحيح الجامع: ٥٦٧٩)

وقد ذم الله سبحانه وقال من سمع أسم النبي ﷺ ولم يصل عليه[1].

- فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ " قال عبد الرحمن: وأظنه قال: أو أحدهما ".

(صحيح الجامع: ٣٥١٠)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي أيضًا عن الحسين بن علي-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ ". (صحيح الجامع: ٢٨٧٨)

٤٢- النبي -صلى الله عليه وسلم- شاهد ومبشر ونذير:

كذا وصفه رب العالمين في كتابه الكريم، **فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦)

وجاء وصفه ﷺ بالشهادة في كثير من الآيات القرآنية ومنها: **قوله تعالى:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء:٤١)

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩)

وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج:٧٨)

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)

- وأخرج البخاري من طريق عطاء بن يسار -رحمه الله- قال: "لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح بها أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف ".

[1]- وفضائل الصلاة والسلام على النبي ﷺ كثيرة، وهناك رسالة خاصة في هذه السلسلة المباركة في فضل الصلاة لي النبي ﷺ

٤٣- نصره الله - تعالى- لنبيه -صلى الله عليه وسلم- ودفاعه عنه:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج:١٥)

قال ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره: ٣/ ٢١" عند هذه الآية: " من كان يظن أن الله ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله– تعالى– ناصره لا محاله ". أهـ

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة:٤٠)

والله تعالى يدافع عن نبيه وخليله:

وقد كانت الأنبياء قبل النبي ﷺ يقفون أمام عشيرتهم ويدافعون عن أنفسهم

– **فلما قال قوم نوح لنوح:** ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأعراف:٦٠)

قال نوح دفاعًا عن نفسه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:٦١)

– **وقال قوم هود لهود:** ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف:٦٦)

فقال هود دفاعًا عن نفسه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:٦٧)

– **ولما قال فرعون لموسى:** ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (الإسراء:١٠١)

فقال موسي ردًا عليه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا [١]﴾ (الإسراء:١٠٢)

وغير ذلك من النماذج، والتي تولي كل نبي فيها الدفاع عن نفسه، إلا النبي ﷺ فإن الله–جل وعلا– تولي الدفاع عن خليله وحبيبه.

– **لما قال أبو لهب:** تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ " (والحديث رواه البخاري)

فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد:١)

– **وعندما قال قومه: إنه كاهن، فقال تعالى:** ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة:٤٢)

– **وعندما قالوا: إنه شاعرٌ، فقال تعالى:** ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس:٦٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة:٤١)

– **وعندما قالوا: إنه ضال، فقال تعالى:** ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم:٢)

---

[١]- مثبورًا: أي: هالكًا أو مصروفًا عن الخير

- **وعندما قالوا: إنه مجنون، قال تعالى:** ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم:٢)

- **ولما اتهموه فيما جاء به من عند ربه ﷻ فقال الله دفاعًا عنه ﷺ:** ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ[1]﴾ (التكوير:٢٤)

أي ليس هذا النبي بمتهم فيما يخبر به عن الله ﷻ، وقيل: وما هو ببخيل، أي لا يضن بالأخبار عن الله ﷻ فقد أخبر بكل ما يقرب من جنته، وبكل ما يباعد عن عذابه.

- **ولما اتهموه بالكذب والافتراء: قال الله تعالى مدافعًا عنه ﷺ:** ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٧)

أي: أنه ليس بكذاب ولا مدعي.

-ولما مكث رسول الله ﷺ أيامًا لا ينزل عليه جبريل عليه السلام : " فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك، **فقال تعالى:** ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ[2] رَبُّكَ وَمَا قَلَى[3]﴾ (الضحى:١-٣)

- ***وفي رواية البخاري ومسلم من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه قال:*** " اشتكي النبي ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجوا أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى:١-٣)

- ولما مات عبد الله الأبن الثاني لرسول الله ﷺ:

" استبشر أبو لهب وهرول إلى رفقائه يبشرهم بأن محمدًا صار أبترًا "

فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ[4] هُوَ الْأَبْتَرُ[5]﴾ (الكوثر:٣)

- **ولما قالوا:** ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ (النحل:١٠١) **فقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل:١٠٥)

وصدق ربنا حين قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥) **وقال تعالى:** ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر:٣٦)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد ".

- ويستمر هذا الكلأ وهذه الرعاية الربانية لخير البرية، من ملك الملوك إلى أحب خلقه إليه ﷺ ويحفظه عن كيد الكائدين ومكر الماكرين، كيف لا وهو القائل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)

١- بضنين أي: ليس هذا النبي ﷺ بمتهم فيما يخبر به عن الله ﷻ وقيل: ما هو ببخيل أي: لا يضن بالأخبار عن الله ﷻ فقد أخبر بكل ما يقرب من جنته، وبكل ما يبعد عن عذابه.

٢- ما ودعك: ما تركك يا محمد

٣- وما قلي: ما أبغضك

٤- شانئك: مبغضك

٥- الأبتر: المقطوع الأثر أو الخير

- وتري هذه العصمة والرعاية للحبيب ﷺ في مواقف عديدة، لا نستطيع أن نحصرها في هذا المقام ومنها:

١- لما كاد المشركون للرسول الأمين ﷺ واجتمعوا على قتله وعزموا على ذلك، ليحولوا بينه وبين الوصول إلى أصحابه في المدينة، إذ بجبريل- عليه السلام- ينزل بوحي من اللهﷻ : **" لا تبت في فراشك الليلة ".**

٢- ويخرج النبي ﷺ من بين أظهرهم ويذري التراب على رؤوسهم، وهو يتلو قول الحق سبحانه: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** (يس:٩) فيخطف الله أبصارهم وما من رجل إلا ويضع رأسَه على صدره ويغط غطيطًا، ويخرج النبي ﷺ سالمًا يكلؤه الله بحفظه ورعايته.

٣- ولما وصل المشركون إلى الغار الذي فيه النبي ﷺ هو وأبو بكرﷺ ***فقال أبو بكر كما عند البخاري:*** **" نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ما ظنك بإثنين الله ثالثهما ".**

٤- وفي أثناء سيره إلى المدينة يلحق به سراقة بن مالك لينال منه، رجاء الفوز بالمكافأة التي أعلنت عنها قريش وهي مائة ناقة لمن يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه حيين أو ميتين. ولكن بأمر من الله ساخت قائمتا فرس سراقة بن مالك في الرمال، فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت، فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ارتفع في السماء مثل الدخان، فعلم سراقة أن الرسول ﷺ ممنوع.

٥- وها هو رجل يحاول قتل النبي ﷺ ولكن الله يحول بين ذلك، **مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** (المائدة: ٦٧) ***والقصة ذكرها البخاري عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- قال:*** **" غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قِبَلَ نجد[١]، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاةِ[٢] فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَما نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا[٣]، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ[٤] ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا "، قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ".**

٦- حماية وحفظ النبي ﷺ يوم حنين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ قال:

" غزونا مع رسول الله ﷺ حُنينًا ..... فَوَلَّى صحابة النبي ﷺ فلما غَشَوْا رسول الله ﷺ[٥] نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: شاهت الوجوه[٦] " فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله ﷻ وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين ".

١- قِبَلَ نجد: أي ناحية نجد- في غزوته إلى غطفان، وهي غزوته ذي أمر، موضع من ديار غطفان
٢- العضاة: هي كل شجر ذات شوك
٣- صلت: بفتح الصاد وضمها: أي مسلولًا
٤- فشام السيف: معناه غمده ورده في غمده
٥- فلما غشوا رسول الله ﷺ: أي أتوه من كل جانب
٦- شاهت الوجوه: أي قبحت

٧- والله يحفظ نبيه من أم جميل (امرأة أبي لهب) [١]

فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلًا وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها وتطيل عليه الافتراء والدس وتؤجج نار الفتنة وتثير حربًا شعواء على النبي ﷺ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب. ولمّا سمعت ما نزل فيها وفي زوجها في القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهر[٢] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذممًا عصينا[٣]، وأمره أبينا، ودينه قلينا ثم انصرفت. فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك، فقال: ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني ." **فانظر كيف أنتقم الله منها عندما سبت رسوله** ﷺ

قال مرة الهَمْداني: كما عند" القرطبي: ١٠ / ٧٣٣٠":

" كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة[٤] من الحسك[٥] فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة ذات يوم حُزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملَك من خلفها فأهلكها ".

٨- وها هو رجل يؤذي الرسول ويفتري عليه الكذب، فيمته الله تعالى، ويأمر الله سبحانه الأرض أن تلفظه حتى تأكله السباع وكلاب الأرض.

فقد أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **" كان رجل نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًا فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه ". - *وفي لفظ مسلم:*** **" فتركوه منبوذًا " .**

وصدق ربنا حيث قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر:٩٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في" الصارم المسلول على شاتم الرسول صـ١١٦":

" فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدرى إلا ما كتب له، قسمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مرارًا وهذا أمرٌ خارج عن العادة يدل لكل أحدٍ على أن هذا كان عقوبة بما قاله وأنه كان كاذبًا إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ولكذب الكاذب، إذ لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد " .

١- وهي أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، لا تقل عن زوجها عداوةً للنبي ﷺ

٢- أي بمقدار ملْ الكف

٣- أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟، يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد."

٤- بإبالة: الحزمة الكبيرة.

٥- الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك وهو السعدان.

٩- حماية النبي ﷺ من أبي جهل- عليه لعنة الله-:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال: أبو جهل: هل يُعفر محمدٌ وجهه[١] بين أظهركم؟ أي: هل يصلي أمامكم- قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فَجِئَهُمْ[٢] منه إلا وهو ينكص على عقبيه[٣] ويتقي بيده، قال: فقيل له مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ:" لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا ".

٤٤- أحلت للنبي -صلى الله عليه وسلم- الغنائم ونصر بالرعب على الأعداء مسيرة شهر:

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢)

فنصر الله تعالى نبيه وذلك عن طريق القاء الرعب في قلوب الأعداء مسيرة شهر أي قبل قدوم النبي ﷺ بشهر. *كما ثبت في الصحيحين من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد [من الأنبياء] قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أبيض وأسود- *وفي رواية عند البخاري:* وبعثت إلى الناس عامة، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورًا ومسجدًا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة ".

ومما خص به النبي ﷺ: أن الملائكة كانت تنزل تقاتل معه: كما مر بنا في الآية السابقة.

- وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران:١٢٣-١٢٥)

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال:٩)

فالنصر يوم بدر كان إجابة لدعاء النبي ﷺ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ والمستغيث هو النبي ﷺ وعبر عنه بصيغه الجمع تعظيما وكان إمداد الله- تعالى- لنبيه بالملائكة على ثلاث دفعات: ألف، ثم ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف.

١- هل يعفر محمد وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر، وهو التراب

٢- فجئهم: بكسر الجيم، ويقال أيضًا فجأهم بفتحها لغتان: أي بغتهم

٣- ينكص على عقبيه: أي رجع يمشي إلى ورائه، قال ابن فارس: النكوص: الإحجام عن الشيء

٤٥- أوجب الله تعالى علينا طاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحذرنا من معصيته:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال:٢٠)

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٣)

وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:١)

والآيات في هذا المعني كثيرة جدًا.

ولقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر:٧)

- وأخرج البخاري ومسلم من طريق علقمة قال: لعن عبد الله[1] الواشمات والمتنمصات والمُتفلِّجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبد الله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله، قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته، فقال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

" خطبنا رسول الله ﷺ:" أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا"، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ:" لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم" ثم قال: ذروني ما تركتكم وفي لفظ:" دعوني ما تركتكم " فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم- وفي رواية بكثرة سؤالهم- واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ".

- **ومن شأن أهل الإيمان إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور:٥١)

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب:٣٦)

ثم فليعلم إن طاعة هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامة عليه من طاعة الله ﷻ:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء:٨)

- **وطاعته ﷺ سبب الهداية والفلاح:**

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور:٥٤)

١- هو ابن مسعود رضي الله عنه

وقال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

- **وفي طاعته ﷺ حياة القلوب:**

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال:٢٤)

- **وطاعته ﷺ سبب للرحمة**

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (التوبة:٧١)

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٢)

- **طاعة النبي ﷺ دليل على محبة الله تعالى:**

***قال الحسن البصري** –رحمه الله–:* أدعي ناسٌ محبة الله ﷻ فابتلاهم اللهُ بهذه الآية ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران:٣١)

وصدق القائل حيث قال:

من يدعي حبَّ النبي ولم يفد ... من هديه فسفاهةٌ وهراء

فالحب أول شرطه وفروضه ... إن كان صدقًا: طاعةٌ ووفاء

- **من أطاع النبي ﷺ دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار:**

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:٧١)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (النساء:١٣)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء:٦٩)

– ***وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي ".

– ***وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم هذا الحديث عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجَنَادبُ والفراشُ يَقَعْنَ فيها، وهو يَذُبُّهُنَّ عنها، وأنا آخذ بحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتم تفلَّتُون من يدي ".

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحُجَزِكُم، وأنتم تَقَحَّمُون فيه ".

- وأخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال:

" جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومحمد ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ ".

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى ﷺ قال: "إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتي قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العُرْيَان[1] فالنجاء[2]، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا[3] فانطلقوا على مهلتهم[4]، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[5]، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق ".

وكما أمر الله تعالى بطاعته وبين لنا أن هذا هو طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فكذلك حذرنا من عصيانه وبين لنا أن هذا هو عين الشقاء في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦)

- **وجعل الله تعالى الذلة والصغار على من خالف أمر رسول الله ﷺ:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (المجادلة:٢٠)

- وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ".

وفي رواية: " وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري ".

١- أنا النذير العريان: قال العلماء: أصله: أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا عنهم ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم

٢- فالنجاة: أي: انجو النجاء، أو اطلبوا النجاة

٣- فأدلجوا: معناه: ساروا من أول الليل، يقال: أدلجت أدلج إدلاجًا، كأكرمت أكرم إكرامًا والاسم الدَّلجة، فإن خرجت بالليل قلت: أدّلجت أدّلج ادّلاجًا بالتشديد والاسم الدُّلجة بضم الدال.

٤- على مهلتهم: هكذا هو في جميع نسخ مسلم

٥- اجتاحهم: استأصلهم

- **ونفي الله الايمان عمن لم يحكم رسول الله ﷺ ويسلم لحكمة إذا حكم ويرضي به:**

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)

فالله تعالى أقسم على ذلك بالربوبية حتى يتم الإذعان لحكم رسوله، وتأكيدا لعظم قدره وتفخيم أمره ﷺ، فقال " ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ فأضاف نفسه إليه، كما في قوله تعالى أيضًا ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (مريم:٢) فأضاف الله تعالى اسمه إلى النبي ﷺ، وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد منزلة النبي ﷺ "

- **عصيان النبي ﷺ ومخالفة أمره سبب للعذاب الأليم:**

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء:١٤)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن:٢٣)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة:٦٣)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:١١٥)

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث سلمة بن الأكوع*** **أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال النبي ﷺ كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه "**

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه **أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما أسمك؟ قال: حزن، قال:" أنت سهل"، قال: لا أغير أسمًا سمانيه أبي. قال ابن المسيب:** فمازالت الحزونة فينا بعد.

٤٦- جعل الله -تعالى- استغفار النبي -صلى الله عليه وسلم- للمؤمنين رحمة لهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ٤٦)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ١/٥٢٠" عند هذه الآية: " يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

٤٧- اللّه - عز وجل- أخذ الميثاق على الأنبياء والمرسلين- عليهم السلام- أن يؤمنوا بالنبي -صلى اللّه عليه وسلم- وينصره إذا خرج في زمانهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران:٨١)

جاء في" دلائل النبوة للبيهقي: ٥/٣٨٤" عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: " ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرونَّه. (انظر تفسير الطبري: ٢/٢٣٦)

والآية السابقة تدل على أن بعثه النبي ﷺ عامة، وشريعته دائمة، حيث أخذ الله تعالى على الانبياء والمرسلين أن ظهر النبي " ..... في زمانهم أن يؤمنوا به وينصروه لعموم دعوته التي تشملهم ".

فانظر -رعاك الله- إلى هذه العظمة التي لا عظمة فوقها، وهذه المكانة التي لا مكانه بعدها

- ***وأخرج الإمام أحمد والدارمي من حديث جابر*** رضي الله عنه **" أن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **أتى النبي** ﷺ **بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب وقال: أَمُتَهَوِّكُون[1] فيها يا ابن الخطاب، فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني ".** (حسنه الألباني في المشكاة: ١/٦٣)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ١/٣٨٦: فالرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليه- دائما إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس.

ففي رواية ابن أبي حاتم عن أنس رضي الله عنه ***عن رسول الله*** ﷺ**:" فلم ألبث إلا يسيرًا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم ".**

وفي رواية مسلم: **" وحانت الصلاة فأممتهم ".**

ولذلك فإن عيسى-عليه السلام- إذا نزل فإنما يحكم بكتابتنا ويعمل بشريعتنا، بل سيبلغ منه الأدب مع سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، أن يصلي خلف رجل من أمته وهو المهدي ولا يتقدم عليه.

كما جاء في الصحيحين: **" كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم فيكم ".**

- ***وفي رواية ابن ماجه بسند صحيح:*** **" وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم** عليه السلام **الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك اقيمت فيصل بهم إمامهم ".**

[1]- أمتهوكون: التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير رؤية، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير (النهاية في غريب الحديث لأبن الأثير: ٥/٢٨٢)

٤٨- النبي -صلى الله عليه وسلم- فضل على الأنبياء بأمور:

١- جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل وأُحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى الناس كافة ". *وفي رواية:* " وخُتم بي النبيون". *وفي رواية عند الإمام أحمد* " وجُعلت أمتي خير الأمم ".

٢- ومما يدل على تفضيل النبي ﷺ على سائر الأنبياء أنه ﷺ أَمَّهم ليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الأقصى:

***فقد أخرج البزار وأبو يعلى أن النبي ﷺ تحدث عن رحلة الاسراء والمعراج فقال ﷺ:* "..... ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فنشرت لي الأنبياء، من سمي الله عز وجل منهم، ومن لم يسم فصليت بهم .... ".**

- *وفي رواية عند مسلم:* " وقد رأتني في جماعة من الأنبياء .... فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة، قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام ".

٣- ووصل النبي ﷺ في رحلة المعراج إلى مكانة لم يصل إليها أحد من الأنبياء.

***يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-* سميت سدرة المنتهي، لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.**

***وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:* " ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ".**

قال القاضي عياض -رحمه الله- في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفي:

" وفي علو منزلة نبينا ﷺ وارتقائه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السماوات، دليل على علو درجته وإبانه فضله.

٤- ومما يدل أيضًا على تفضيل النبي ﷺ على سائر الأنبياء، ***ما أخرجه الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ ليلة أسري به، أُوتي بالبراق مسرجًا ملجمًا، فاستصعب عليه، فقال له جبريل -عليه السلام-:* " ما حملك على هذا؟ فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه، قال: فأرفضَّ عرقًا ".**

قال ابن المنير -رحمه الله-: إنما استصعب البراق تيهيًا وزهوًا بركوب النبي ﷺ، وأراد جبريل استنطاقه، فلذلك خجل وارفض عرقا من ذلك، وقريب من ذلك رجفة الجبل به حتى قال" **اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان** " فإنها هزة الطرب لا هزة الغضب. (فتح الباري: ٢٤٧/٧)

٥- أن كل رسول كان يرسل إلى قومه خاصة **كما قال تعالى:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم:٤) أما الحبيب النبي ﷺ فأرسله الله ﷻ إلى الخلق كآفة. **فقال تعالى:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨) فأرسله اللهُ إلى الجن والأنس

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ :أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخلق كَافَّةً، – وفي رواية: وَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ عامة "– وفي رواية: وأرسلت إلى كل أبيض وأسود، وَخُتِمَ بِيَ الأَنْبِيَاءُ ".

– *وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ وفيه:* " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كآفة ..... ". *الحديث*

٦– **وهو صاحب الوسيلة:** وهي أعلى درجة في الجنة، وهي أقرب المنازل إلى العرش، لا ينالها إلا الحبيب النبي ﷺ وسيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله– تعالى–.

٧– **وهو أيضًا صاحب المقام المحمود:**

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الاسراء:٧٩)

والراجح أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمي يوم القيامة، وسيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله تعالى.

٨– **ونبينا حوضه أكثر الأحواض ورودًا:**

فقد أخرج الترمذي عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة ".

اللهم اسقنا من يد الحبيب شربة لا نظمأ بعدها أبدًا

٤٩- النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر الأنبياء تبعاً:

– *فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*

" ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة ".

– *وعند مسلم من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:*

" أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ".

– *وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:*

" لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد ".

– *وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس– رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:*

" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَقَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فظننتُ أنهم أُمَّتِي؟ فَقِيلَ لي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، لَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لي: انْظُرْ إِلَى هَذَا الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلا عَذَابٍ ....." *الحديث*

٥٠- النبي -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين:

فمن رحمة الله بعبادة أنه أرسل الحبيب النبي ﷺ وجعله خاتم[١] الأنبياء والمرسلين

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٠)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: " فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله-تبارك وتعالى- في كتابه، ورسولُه ﷺ في السنة المتواترة عنه، أن لا نبي بعده ليعلموا أن كل من أدعى هذا المقام بعده فهو كذَّابٌ أفاكٌ ضالٌ مُضل ". انتهي (تفسير ابن كثير: ١١٧/٣)

وأخرج أيضًا الامام أحمد بسنده عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت ..... ".

- *وفي حديث الشفاعة الطويل وهو عند البخاري وفيه* **".... فيقول عيسى عليه السلام اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ...".**

- *وفي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*

" فضلت على الأنبياء بست..... ". *الحديث. وفيه:* وختم بي النبيون ".

- *وعند الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* **" إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، قال: فشق ذلك على الناس، قال: ولكن المبشرات، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة ".** (صحيح الجامع: ١٦٢٧)

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* **" كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفة نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم ".**

- **والنبي ﷺ ضرب مثالًا رائعًا يوضح فيه العلاقة بينه وبين الأنبياء، وأنه مسك الختام، وأنه تمام الأمر، وكمال الدين.**

- *فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:* **" مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني بنيانًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة[٢]من زوايه من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ قال:" فأنا اللبنةُ، وأنان خاتم النبيين ".**

١- خاتم وخاتم: لغتان بفتح التاء وكسرها مثل طابع، وقد قرئ بهما والمعني على فتح التاء، أنهم ختموا به، فهو كالخاتم والطابع لهم، والمعني على كسر التاء، أنه ختمهم: أي جاء آخرهم (انظر تفسير القرطبي: ١٩٦/١٤)

٢- اللبنة: بفتح اللام وكسر الباء بعدها نون، وبكسر اللام وسكون الباء أيضًا هي: القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء، ويقال لها مالم تحرق: لبنة، فإذا أحرقت فهي آجرة.

- ***وفي الصحيحين أيضًا من حديث جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ:***

" مثلي ومثل الأنبياء كرجل بني دارًا فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة لجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة ".

وكون النبي ﷺ خاتم النبيين، وشريعته أخر الشرائع، فهذا يدل على أمور فيها:

١- على جميعِ أهلِ الكتاب أنْ يتبعوا هذا النبيَّ فهو أخرُ الرسلِ، وشريعته ناسخة لجميع الشرائع.

٢- أن القرآن هو المهيمنُ على بقية الكتب السماوية كما قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾** (المائدة:٨)

٣- أن شريعة النبي ﷺ غير قابلة للتغير أو النسخ، فهي شريعة جاءت صالحة لكل زمان ومكان إلى يوم الحساب.

٥١- رسولنا -صلى الله عليه وسلم- خير الرسل، بعثه الله -تعالى- في خير القرون:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنًا حتى كنت في القرن الذي كنت منه ".

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ..... ".

وفي رواية عند مسلم **" خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ..... ".**

- ***وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ..... ".

٥٢- أرسل الله - تعالى- النبي -صلى الله عليه وسلم- في خير البلاد ألا وهي مكة المكرمة زادها الله تعظيماً:

فمكة هي خير بقاع الأرض، وأحبها إلى النبي ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال عن مكة: **" والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت ".**

وزاد الله مكة تعظيمًا وتشريفًا لمَّا حل بها النبي ﷺ **قال تعالى:** **﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾** (البلد:١-٢)

قال صاحب المنتخب: " أقسم الله قسمًا مؤكدًا بمكة – البلد الحرام– وأنت مقيم بهذا البلد تزيده شرفًا وقدرًا ".

فالقري والبلاد تتفاضل بتفاضل من يسكنها، فإذا كانت مكة المكرمة التي لها من الحرمة والتعظيم والتشريف ما ليس لغيرها، قد ازدادت شرفًا ورفعة بإقامة النبي ﷺ فيها.

وقفة: " ومما يدل على فضل النبي ﷺ.... أن مكة من كونها بلد الله الحرام، إلا أن الله– تعالى– أحلها للنبي ﷺ ساعة من الزمان، وكان ذلك يوم فتحها، ولم تحل لنبي قبله "

٥٣- وأنزل الله تعالى على نبيه -صلى الله عليه وسلم- خير كتاب وهو القرآن الكريم:

- **وجعل الله- تعالى- القرآن مهيمنًا على سائر الكتب قبله**

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة:٤٨)

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢)

- **فالقرآن مصدر السعادة ومنهل الفرقان، ومرشد الضال وهادي الحيران، وهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.**

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٩)

- **وأنزله الله بلغة العرب، وهي خير اللغات**

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥)

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف:٣)

- **وحفظ الله تعالى هذا القرآن من التبديل والتحريف:**

عندما تكلم رب العالمين عن الكتب السابقة فقال عنها ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (المائدة:٤٤) فجعل حفظه إليهم فضاعت، وعند تكلم رب العالمين عن القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩) فالله تعالى تولي حفظ كتابه (القرآن) فلا يدخله تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص، وهو باق ما بقي الدهر، وهذا تكريم لنبينا ﷺ بدوام معجزته وخلود شريعته.

- وقد استدل بعض أهل العلم بالآية السابقة على أن السنة النبوية أيضًا محفوظة من التبديل والضياع، وهو استدلال ظاهر، لأن السنة وحي كالقرآن إلا انها وحي غير متلو، ولأنها بيان لما فيه من الأحكام كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤) والبيان يجب أن يكون محفوظًا كما حفظ المبين- والقرآن معجز، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لعجزوا وما استطاعوا.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

(الاسراء:٨٨)

٥٤- صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- خير وأفضل الأصحاب:

أثني الله عليهم في التوراة والإنجيل:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:٢٩)

هذه الآية تبين مكانة أصحاب النبي ﷺ في التوراة والإنجيل وعلو منزلتهم ببركة صحبته للنبي ﷺ ولكرامتهم ومكانتهم عند الله، فإن الله- تعالى- دافع عنهم لأنهم أصحاب الحبيب النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٣)

والناس في هذه الآية هم أصحاب النبي ﷺ، وقد دافع الله عن أصحاب نبيه بهذه الجملة المؤكدة بعده تأكيدات، ولم يفعل ذلك مع أصحاب نبي قبله، فقوم نوح عليه السلام لما قالوا له ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ يحتقرون أصحاب المؤمنين، أجابهم نوح عليه السلام فقال ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (الشعراء: ١١٢-١١٣)

وقال تعالى أيضًا: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون:٧)

وفي هذه الآية دافع الله عن الصحابة الذين هاجروا إلى المدينة، وكان الأنصار وهم أهل البلد يواسونهم فنهاهم المنافقون عن ذلك مؤملين أن ينصرفوا إلى شؤون معايشهم وما يصلح حالهم، فرد الله عليهم بأن خزائن السماوات والأرض بيده تعالى فهو متكفل برزقهم لأنهم في صحبة نبيه ﷺ قائمون بخدمته باذلون أنفسهم في نصرة دينه.

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨)

قال عبد الله بن أبي بن سلول لإخوانه المنافقين وهم راجعون من غزوة بني المصطلق مع النبي ﷺ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل- يقصد بالأذل المهاجرين وبالأعز أنفسهم- فرد الله عليهم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولم يدافع الله عن صحابة نبي غير نبينا لكرامته عليه.

وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

" إن الله ﷻ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأي المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ ".

٥٥- أمة النبي -صلى الله عليه وسلم- خير الأمم وأفضلها على الإطلاق:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠)

فقد أخرج الإمام أحمد عن عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أُعطيتُ ما لم يعطَ أحدٌ من الأنبياء، نصرت بالرعب، وأُعطيتُ مفاتيحَ الأرض، وسميت أحمد، وجعل الترابُ لي طهورًا، وجُعلت أمتي خَيْرَ الأُممِ".

- *وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن معاوية بن حيدة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*

" إنكم تُتمون سبعين أُمَّة، أنتم خيرها وأكرمها على الله ". (صحيح الجامع:٢٣٠١)

- *وفي رواية:* "أنتم تُوفون سبعين أُمَّة، أنتم آخرها وأكرمها على الله ﷻ".

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الجمعة:٤)

أ - أمَّة النبي-صلى الله عليه وسلم- لا تجتمع على ضلالة:

قال رسول الله ﷺ: " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ". (رواه البخاري ومسلم)

ب- أمَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-أقل الأمم أعمارًا وأعمالًا، ولكن أكثرهم ثوابًا وأجرًا:

أخرج البخاري من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أُجَرَاء، فقال: مَن يعمل لي غُدوةٍ إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم؛ فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أُوتِيه مَن أشاء ".

جـ - أمَّة النبي -صلى الله عليه وسلم- شهداء على الناس يوم القيامة:

ويظهر فضل الأُمَّة المحمَّدية يوم القيامة عندما يجعلها الله تعالى أُمَّة شاهدة على البشرية كلها.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ -أي الرسالة- فيقول: نعم، فيُقَال لأُمَّتِه: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمَّتُه، فيشهدون أنه قد بلَّغ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)

د - الأُمَّة المحمدية أول مَن ستحاسب:

فمن مظاهر تكريم الله للأمة المحمدية أن يجعلها أول الأمم تحاسب، ودليل ذلك: -

- *ما أخرجه الإمام مسلم من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*

" نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق ".

- ***وعند ابن ماجه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:*** " نحن آخر الأمم، وأول مَن يُحَاسَبُ، يقال: أين الأُمَّة الأُمِّيَّة نبيها؟ فنحن الآخرون الأولون ". (صحيح الجامع:٦٧٤٩)

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** " نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كلَّ أُمَّةٍ أوتيت الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم - الجمعة- الذي كتبه الله علينا هدانا الله له، والناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا والنصارى بعد غد ".

- ***قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "فتح الباري" معلقًا على الحديث:***

"وفي قول النبي ﷺ: "نحن الآخرون" أي الآخرون زمانا، الأولون منزلة، والمراد: أن هذه الأُمَّة وإن تأخَّر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول مَن يحشر، وأول مَن يحاسب، وأول مَن يقضى بينهم، وأول من يدخل الجَنَّة". أهـ بتصرف.

هـ - الأمة المحمدية أول مَن ستمرُّ على الصراط:

فقد ثبت في "صحيح البخاري" أن الحبيب النبي ﷺ قال: " ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكونُ أنا وأمتي أول مَن يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم...". ***الحديث***

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:

" نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول مَن يدخل الجَنَّة...". الحديث.

و - الأُمَّة المحمَّدية أقلُّ أهل النار:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله ﷻ:

" يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، يا رب وما بعث النار؟ فيقول: في كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين؛ فحينئذ يشيب المولود وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فقال الصحابة: وأيُّنَا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد، فقال الناس: الله أكبر".

- **بل بلغ من كرم الله لهذه الأُمَّة أنه يدفع لكلِّ واحدٍ منها رجلًا من الكفار، ويقال هذا فكاك من النار**

- ***فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأُمَّة رجلًا من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار". (صحيح الجامع:٧٧٨)

- ***وأخرج الطبراني في "الكبير" والحاكم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" إذا كان يوم القيامة؛ بعث الله إلى كل مؤمن ملكًا معه كافر، فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن، هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار". (صحيح الجامع:٧٧٩)

- ***وفي رواية عند مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:***

" إذا كان يوم القيامة دَفَعَ الله إلى كلِّ مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول: هذا فكاكك من النار".

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** "**يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوب أمثال الجبال؛ يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود**". (صحيح الجامع:٨٠٣٥)

يقول الإمام النووي –رحمه الله– في شرح هذا الحديث:

قوله:" **دَفَعَ الله إلى كلِّ مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول: هذا فكاكك من النار**" معناه ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ: " **لكل أحد منزلٌ في الجَنَّة، ومنزلٌ في النـار**". فالمؤمن إذا دخل الجَنَّة خَلَفَهُ الكافر في النار؛ لأنه مستحق لذلك بكفره، ومعنى "**فكاكُك**" إنك كنت مُعَرَّضًا لدخول النار، وهذا فكاكُكَ؛ لأن الله تعالى قدَّر للنار عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم، صاروا في معنى الفِكَاك للمسلمين. والله أعلم".

(رياض الصالحين: ص٢٢٥)

ز - الأُمَّـة المحمدية أكثر أهل الجَنَّة:

أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "**كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحو من أربعين، فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجَنَّة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجَنَّة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجَنَّة، وذلك أن الجَنَّة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض** ".

يا الله! نحن نصف أهل الجَنَّة مع كوننا الأُمَّة السبعين.

- **بل وفي رواية أخرى يظهر من خلالها أننا ثلثي أهل الجنة**

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن بريدة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**أهلُ الجَنَّة، عشرون ومائةُ صفٍّ، ثمانون منها من هذه الأُمَّة، وأربعون من سائر الأمم** ". (صحيح الجامع: ٢٥٢٦)

– بل في رواية هي أرجى من سابقتها، وفيها أن النبي ﷺ قال: "**ما من أُمَّة إلا وبعضها في النار، وبعضها في الجَنَّة، إلا أُمَّتي فإنها كلها في الجَنَّة** ".

والحديث يُقْصد به أن مَن مات من أهل التوحيد – ولو كان من أهل الكبائر – فإن مصيره في نهاية الأمر إلى الجَنَّة.

– لكرامة هذه الأُمَّة على الله؛ فإنه يُدْخِل منها الجَنَّة سبعين ألفًا بغير حساب ولا سابقة عذاب:

ففي أرض المحشر عندما يجمع الله الأولين والآخرين للحساب والفصل بين العباد، ويتجلى الله ﷻ لعباده للحساب والجزاء، وإذا بالكريم ﷻ يأذن لزمرة كريمة من أُمَّة الحبيب النبي ﷺ لتدخل الجَنَّة بلا حساب، فالناس في أرض المحشر يُحاسَبُون، وهم في الجَنَّة يتنعمون.

فهؤلاء الذين جاء ذكرهم في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **" عُرضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبي ومعه الرهط[1]، والنبي ومعه الرجلُ والرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ، إذ رُفِعَ لي سواد عظيم، فظننت أنهم أُمَّتِي، فقيل لي: هذا موسي وقومُهُ، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقون [2]، ولا يسترقون، ولا يتطيرون[3]، ولا يكتوون[4]، وعلي ربهم يتوكَّلون ".**

– وفي قول النبي ﷺ: **"عُرضت عليَّ الأمم: "** أي أن الأمم تُعْرَضُ على النبي ﷺ وهي في طريقها إلى الجَنَّة، وكانت أُمَّة النبي ﷺ هي أكثر الأمم دخولًا للجنة، بل وفوق ذلك معهم سبعون ألفًا يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا سابقة عذاب، ووجوههم كالقمر ليلة التمام.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" ليدخلنَّ الجَنَّة من أمتي سبعون ألفًا متماسكون، آخذٌ بعضهم بيد بعضٍ، لا يدخل أولُهم حتى يدخلَ آخرهم، وجوههم على صورةِ القمر ليلة البدر".

- **ولم يكتف النبي ﷺ بهذا، بل سأل ربه الزيادة؛ فزاده الله مع كل واحد سبعين ألفًا.**

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي بكر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" أُعطيتُ سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجَنَّة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجلٍ واحد، فاستزدتُ ربي ﷻ فزادني مع كل واحدٍ سبعين ألفًا ".** (صحيح الجامع:١٠٥٧) (الصحيحة:١٤٨٤)

– بل وفي رواية أخرى أخرجها الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" وعدني ربي أن يدخل الجَنَّة من أُمَّتِي سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات [5] من حثيات ربي ". (صحيح الجامع:٧١١١)

– وفي رواية: **" فكبَّر عمر بن الخطاب ﷺ".**

فعمر كبَّر لأنه استوعب المعنى، فما هو المعنى الذي استوعبه عمر؟

هو مدى وسعة رحمة أرحم الراحمين بعباده المؤمنين، فلا أحد يستطيع أن يُدرك هذه الحثيات، ولا يعلم أحدٌ منا قدرها، لكن جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر:٦٧)، ما يشير إلى المعنى الذي فهمه عمر ﷺ

١- الرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة.
٢- قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: "قلت: "قوله: "لا يرقون" هو مما تفرد به مسلم دون البخاري وغيره، ثم هو شاذ سندًا ومتنًا، كما بينته في محل آخر، وحسبك دليلًا على شذوذه أن النبي ﷺ قد رقى غيره أكثر من مرة". اهـ
والرقية: تعويذ المريض بقراءة أذكار مشروعة عليه، والإسترقاء: طلب الرقية.
٣- الطيرة: التشاؤم الذي يصد صاحبه عن العمل.
٤- يكتوون: أي يتداوون بالكي.
٥- حثيات: الحثو: الأخذ بملء الكفين.

٥٦- النبي -صلى الله عليه وسلم- أمنة لإمته لأصحابه:

جعل الله- تعالى- وجود النبي ﷺ أمانًا لإمته ولإصحابه من العذاب والهلاك، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة، حيث عذب بعضهم مع وجود أنبيائهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣)

وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **عندما قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾** (الأنفال:٣٣)

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: **" إن الله جعل هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مُجَارِينَ من قوارع العذاب ما داما بين اظهرهم، فأمان قبضة الله إليه، وأمان بقي فيكم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** (الأنفال:٣٣)

(ورواه ابن جرير في تفسيره: ٩/١٥٤) (وابن كثير في تفسيره: ٣١٧/٢)

- وأخرج أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: في صلاة الكسوف: **"..... رَبِّ ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم؟ ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون؟ ".**

(صحيح أبي داود: ١٠٥٥)

فوجود النبي ﷺ بين أصحابه أمنه لهم من العذاب، بخلاف من عذبوا في حياة أنبيائهم وكان النبي ﷺ كذلك أمنة لأصحابه من الفتن والحروب واختلاف القلوب ونحو ذلك.

وقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: **" صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: "أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ" قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ:" النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ[١]، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ[٢] ".**

---

[١]- أمنة للسماء: قال العلماء: الأمنة والأمن والأمان بمعني واحد، والحديث معناه: أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت يوم القيامة وهنت السماء وانشقت وذهبت "

[٢]- فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما يوعدون: معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ (أفاده النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم:٣٩١)

٥٧- النبي -صلى الله عليه وسلم- زَوَّجه اللهُ - تعالى- من فوق سبع سماوات:

- *فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال:* " لمَّا انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: " فاذكرها عليّ " قال: فانطلق زيد حتى آتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أُؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن ".

وهذا الحديث يفسره حكاية النبي ﷺ مع زيد بن حارثة ﷺ:

" أن النبي ﷺ قد تبني زيد بن حارثة ونسبه إليه، فكان يدعي: زيد بن محمد، وقد تزوج زيد من زينب بنت جحش، ابنة عمة النبي ﷺ، فلما أراد الله ﷻ أن يُبطل مسألة التبني، نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب:٥)، فدُعي زيد مرة أخري إلى أبيه، وبقيت مسألة أخري كانت قد استحكمت في نفوس الناس، وهي أن الرجل المتبني، لا يحل له أن يتزوج بمطلقة من تبناه لأنها بمثابة زوجة ابنه، فأوحي الله إلى رسوله ﷺ، أن زيدًا سيطلق زوجته، ثم يتزوجها النبي ﷺ ليبطل تلك العادة، وكان زيد يأتي النبي ﷺ، يشاوره في طلاق زوجته، فيأمره النبي ﷺ أن يصبر عليها ويمسكها بالمعروف ويخفي ما أوحي الله إليه، ولما تم أمر الله بالطلاق وانقضت عدة زينب -رضي الله عنها-، أرسل النبي ﷺ زيدًا إلى مطلقته يخبرها برغبة النبي ﷺ بالزواج منها، فقالت: أشاور ربي، أي أستخير، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب:٣٧) فدخل النبي ﷺ على زينب بغير إذنها.

٥٨- أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- أمهات للمؤمنين:

شرف الله- تبارك وتعالى – أزواج نبيه ﷺ وخصهم بخصائص ليست لغيرهم من النساء إكرامًا وإجلالًا لعبده ورسوله ﷺ، ومن ذلك أن جعلهم أمهات المؤمنين. **فقال تعالى:** ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦) فالآية: تفيد أن أزواج النبي ﷺ الطاهرات العفيفات أمهات للمؤمنين، وهذا يستدعي ويستوجب تعظيمهم واحترامهم، وحرمة نكاحهم. **كما قال تعالى:** ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٣)

وهذا يدل على تعظيم الله- تعالى- للنبي ﷺ وإيجاب حرمته حيا وميتا.

وعلى هذا انعقد إجماع العلماء قاطبة أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهم أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين.

٥٩- أذهب الله - تعالى- الرجس عن أهل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- وطهرهم تطهير:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣)

٦٠- الله - تعالى- يؤيد النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمعجزات ويثبته بالآيات:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الإسراء:٣٣)

وأعظم المعجزات التي جاء بها النبي ﷺ هي: القرآن الكريم

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجوا أن أكون اكثرهم تابعًا يوم القيامة ".

ومن معجزاته انشقاق القمر له عندما سأله المشركون أن يريهم آية:

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر:١)

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ:***

" إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حِرَاءً[1] بينهما ".

- ***وفي الصحيحين أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال:***

" انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى فقال: اشهدوا وذهبت فِرقةٌ نحو الجبل ".

قال الخطابي -رحمه الله-: " آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه أظهر في ملكوت السماء، خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان له أظهر " (فتح الباري: ٢٢٤/٧)

ومن معجزاته رحلة الإسراء والمعراج:

وفيها من الآيات الكبرى والتي اطلع عليها النبي ﷺ ولما رجع وأخبر قريشًا بما حدث كذبوه وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس فأظهره الله له عندما غاب عنه منظره.

والحديث عند البخاري من حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" لما كذبتني قريش قُمتُ في الحِجْر، فجلا اللهُ لي بيت المقدس، فطفقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ".

١- حِرَاءً: يعني غار حراء

ومن معجزاته نبع الماء من بين أصابعه:

كما ورد في رواية البخاري عن أنس ﷺ قال:

" أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنسٍ: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاءَ[1] ثلاثمائة ".

- وأخرج البخاري أيضًا ومسلم من حديث جابر ﷺ قال:

" عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة[2] فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه،- وفي رواية: فجهش[3] الناس نحوه، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا. قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة ".

قال القرطبي -رحمه الله-: قصه نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يُسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمة وعصبه ولحمه ودمه ". أهـ (فتح الباري: ٦/٦٧٦)

ومن معجزاته أنه يرى من وراء ظهره:

كما جاء في رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأدركم من وراء ظهري ".

ومن معجزاته أن جزع النخلة كان يئن لفراقه- كما مر بنا-:

- ففي صحيح البخاري عن جابر ﷺ قال: **" كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العِشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت ".**

- وفي رواية في الصحيح أيضًا من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ:

" كان يقوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالتْ امرأةٌ مِنَ الأنصار أو رجل: يا رسولَ اللهِ ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إنْ شِئْتُمْ، فجعلوا له منبرًا، فلمَّا كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلةُ صياح الصبيِّ، ثم نزل النَّبيّ ﷺ فضمَّها إليه تئن أنين الصبيِّ الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها ".

وهناك الكثير والكثير من معجزات النبي ﷺ وليس هذا محل لذكرها وعرضها وهناك من المؤلفات من عنيت بذلك.

١- زهاء: أي ما يقارب

٢- ركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركاء (النهاية في غريب الحديث لابن الاثير: ٢/٢٦١)

٣- فجهش: قال ابن الأثير: الجهش: أن يفزع الإنسان إلى الإنسان، وهو مع ذلك يريد أن يبكي كالصبي يفزع إلى أمه (انظر جامع الأصول: ١١/٣٤٧)

٦١- إطلاع النبي -صلى الله عليه وسلم- على المغيبات التي أراد الله اطلاعه عليها:

- ***فقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:*** " قام فينا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، وحفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه ".

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث حذيفة ﷺ قال: " قام فينا ﷺ مقامًا، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه ".

- ***وعن ومسلم من حديث عمرو بن أخطب ﷺ قال:*** " صلي بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلي، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلي، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا ".

فالنبي ﷺ أخبر عن أمور ستحدث وقد حدثت كما أخبر بها ﷺ وأخبر عن أمور ستحدث وهي لم تقع إلى الآن لكنها ستقع بموعود رسول الله ﷺ، كظهور المهدي- وسقوط قسطنطينية ورومية- وخروج الدجال، ونزول عيسى-عليه السلام- وقتال اليهود والنصر عليهم، وانتشار الإسلام في آخر الزمان وغير ذلك من علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وانقضت، والعلامات الصغرى التي ظهرت ولا زالت تتابع وعن العلامات الكبرى التي ستقع في آخر الزمان. وغير ذلك من المغيبات التي أطلعها الله عليه وأمره بتبليغها.

وقد أخبر النبي ﷺ بأمور فور وقوعها وكانت بعيدة عنه ومن أمثلة ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ نعي النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلي فصف بهم وكبر أربعًا ".

- ***وكذلك ما رواه البخاري من حديث أنس ﷺ*** أن النبي ﷺ نَعَى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيدٌ فأصيب[1]، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ".

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ما ذكره ابن هشام في "سيرته" عن ابن إسحاق:

" أن عُمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان ابن عمير (وهو وهب بن عمير) من أسرى بدر، فذكرا أصحاب القليب (البئر) ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت أما والله لولا دينٌ عليَ ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي؛ لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة (سبب) ابني أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليَّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا (أقوم على أمرهم)، فقال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك، قال صفوان: سأفعل، فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسمَّه، فلما أناخ راحلته على باب المسجد ورآه عمر حتى أخذ بحمالة سيفه (ما يُربَط به السيف على

[1]- أصيب: أي: قتل، وذلك يوم مؤتة

الجسم) في عنقه فلبَّبه بها ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أرسله يا عمر، ثم قال النبي ﷺ: ادْنُ يا عمير فدنا، ثم قال له النبي ﷺ فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسِنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك، قال: قبَّحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئًا؟ قال: أُصدقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئتُ إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش: ثم قلت: لولا دَينٌ عليَّ وعيالٌ عندي لخرجتُ أقتلُ محمدًا، فتحمَّل لك صفوانُ بن أميةَ بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك، قال عمير: أشهد أنك رسول الله، فهذا الأمر لم يحضره إلا أنا وصفوان؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال الحبيب ﷺ: فَقِّهُوا أخاكم في دينه وعَلِّمُوه القرآن وأطلقوا له سيره، ففعلوا ".

فالله ﷻ يكلأ حبيبه ومصطفاه من كيد الكائدين ومكر الماكرين، بل ويحمل كل مَن استهزأ بحبيبه آية وعبرة لمَن خلفه.

وأخبر كذلك عن أمور لم تكن وقعت فوقعت:

والأمثلة أكثر من أن تحصر وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- ***ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " إذا هلك كسري فلا كسري بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزَهما في سبيل الله ".

- ومنها ما أخبر به رسول الله ﷺ أن أمته ستقلد أعداء الإسلام فكان الأمر على ما أخبر به النبي ﷺ:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍ تبعتموهم، قلت يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ أي من غيرهم ".

وهناك الكثير والكثير من الأمثلة وفي هذا القدر الكفاية

٦٢- قول النبي -صلى الله عليه وسلم- وحي:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (النجم:٣-٥)

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثله معه ألا يوشكُ رجلٌ شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرموه ... ". ***وعند الترمذي بلفظ:*** " وإنَّ ما حرم رسولُ اللهِ ﷺ كما حرم الله".

وعند أبي داود عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن النبي ﷺ: " لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول: لا ندري، ما وجدناه في كتاب الله أتبعناه ".

٦٣- النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يتمثل الشيطان به:

من رأي النبي ﷺ في المنام كمن رأه في اليقظة، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما منع أن يتصور في صورته في اليقظة إكرامًا له.

ودليل ذلك ما أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي ".

- *وعند البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ".

- *وعند البخاري أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*

" من رآني فقد رآني الحق، فإن الشيطان لا يتكونني ".

قال القرطبي -رحمه الله- بعد أن سرد أقوالًا كثيرة في معني الحديث: والصحيح في تأويل هذا الحديث أن رؤيتَه في كل حالةٍ ليست باطلة ولا أضغاثًا بل هي حق في نفسها، وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره ". (انظر فتح الباري: ٤٠١/١٢)

تنبيه: وهذه الرؤيا مشروطة بأن يراه الرائي على صورته التي كان عليها في الحياة الدنيا والتي جاءت مفصلة في الأحاديث الصحيحة.

٦٤- الله -سبحانه وتعالى- أعطى للنبي -صلى الله عليه وسلم- علامة على قرب أجله:

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١-٣)

وأخرج البخاري عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:

" كان عمر ﷺ يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تُدخلُ هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر ﷺ: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريَهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر ﷺ: ما أعلم منها إلا ما تقول ".

وهذا من تكريم وتشريف الله تعالى للنبي ﷺ حيث يخبره بقرب أجله وينعيه وهذا حدث جلل إذ أن القرآن لا ينزل إلا في الأمور العظيمة والأحداث الجسيمة وهذا يدل على أهمية هذا الحدث.

٦٥- التأدب من النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته وصيانة حرمته:

فالتأدب مع النبي ﷺ وصيانة حرمته حال حياته هو أمر حتم لازم وكذا بعد موته:

- **فكما أنه لا يرفع الصوت في حضرتِه حيًا فإنه لا يرفع الصوت عنده بعد موته.**

فقد أخرج ابن ماجه من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت:

" لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم، فقال عمر ﷺ: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حيًا ولا ميتًا-أو كلمة نحوها- فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن ".

- ***قال حماد بن سلمة:*** كنا عند أيوب نسمع لغطًا فقال: ما هذا اللغط؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله ﷺ كرفع الصوت عليه في حياته " (الجامع للخطيب البغدادي)

- وكذلك التأدب عند دخول مسجده وعند الزيارة لقبره الشريف وعدم رفع الصوت عنده تمامًا كما نهي عن ذلك حال حياته، **وقد رأي عمر ﷺ رجلين في مسجد النبي ﷺ يرفعان أصواتهما، فقال لهما: من أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكم، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ".**

(رواه البخاري)

- **وفي تعظيم حديثه وسنته ﷺ**: ما جاء عن مالك بن أنس أنه مر على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال: إني لم أجد موضعًا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم ". (تهذيب الكمال للمزي: ١٢٧/٢)

- وقال مالك: جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل: وددت أنك لم تتعن(تتعب) فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع ". (صفة الصفوة: ٨٠/٢)

- وكذلك حفظ حرمه بلده والتأدب بآدابها التي أخبر بها ﷺ من صيانة حرمتها، فلا يروع طيرها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ضالتها إلا لمعرف، ولا يختلي خلاها (يعني لا يُحش حشيشها) وتحب المدينة لحب ساكنها وبانيها عليه الصلاة والسلام.

- ومن ذلك احترام كلامه وتوقير حديثه ﷺ، ولذلك كان من الأئمة رضوان الله عليهم من لا يحدث بحديثه إلا على وضوء، ومنهم قتادة ومالك بن أنس، والأعمش وجعفر بن محمد، بل صار ذلك مستحبًا عندهم وكرهوا خلافه: قال ضرار بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ وهم على غير وضوء وحتى قال إسحاق: رأيت الأعمش إذا أراد أن يتحدث وهو على غير وضوء تيمم.

(جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر-رحمه الله-)

٦٦- أجر النبي -صلى الله عليه وسلم- موصول غير مقطوع إلى يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (القلم:٤)

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع

يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٤/ ٤٠٢ عند تفسير هذه الآية:

" إن لك يا محمد الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم، ومعني غير ممنون أي غير مقطوع، كقوله ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٨). أهـ

فما من عمل خير يعمله أفراد أمته ﷺ من الثقلين منذ بعثته ﷺ إلا وله أجر الهداية والتعليم، فالنبي ﷺ أعظم الأنبياء أجرًا، لأن أمته خير الأمم، وهي أكثر أهل الجنة ".

- وقد جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارهم شَيْئًا ".**

- وفي حديث الإسراء والمعراج الذي أخرجه مسلم وفيه أن النبي ﷺ قال: **" ... ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: ومن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا بموسى عليه السلام فقال جبريل: هذا موسي فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، فلما تجاوزت فبكي ..... ". *الحديث***

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في فتح الباري: ٧/ ٢٥١ : قال العلماء:

لم يكن بكاء موسي عليه السلام حسدًا، معاذ الله، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه الله- تعالى-، بل كان بكاء موسي أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة. أهـ

٦٧- النبي -صلى الله عليه وسلم- شهيد على أمته يوم القيامة وأمته شهداء على سائر الأمم:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا[١] لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يُدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله تعالى: " ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

- وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:

" ما من رجل من الأُمم إلا وَدَّ أنه منا أيتها الأمة، ما من نبيٍّ كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة، أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم ". (قال الحافظ في الفتح: ٢١٨/٨: اسناده جيد)

٦٨- النبي -صلى الله عليه وسلم- أول من يبعث، وهو أول شافع ومشفع:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع ".

- وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أنا أول الناس يشفع في الجنة -أي في دخول الناس الجنة- وأنا أكثر الأنبياء تبعًا ".

٦٩- النبي -صلى الله عليه وسلم- أول من يجيز الصراط:

فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال:

" إن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هلي نري ربنا يوم القيامة؟ ..... ". *الحديث وفيه:*

" ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ..... ". *الحديث*

٧٠- ما بين بيته -صلى الله عليه وسلم- ومنبره روضة من رياض الجنة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد المازني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ".

- وعند البخاري ومسلم أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي ".

١- وفي قوله تعالى " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا " قال البخاري -رحمه الله-: أي عدولًا، وفي لسان العرب: الأوسط: هو الأجود والأخير والأشرف، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبًا، وقال ابن القيم -رحمه الله-: الوسط دائمًا محمي الأطراف، فالأطراف الخلل إليها أسرع.

٧١- النبي -صلى الله عليه وسلم- صاحب المقام المحمود:

لرسول الله ﷺ يوم القيامة، تشريفاتٌ وتكْرِيمَاتٌ لا يشركه ولا يساويه فيها أحدُ الأنبياء فمن دونهم، ومن ذلك المقام المحمود، الذي يقومه ﷺ فيحمده الخالق ﷻ والخلائق من بعده قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩)

وقد تعددت أقوال المفسرين في معني (المقام المحمود)، والراجح أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمي يوم القيامة.

فقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره: ١٥/٩٧، عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:

" المقام المحمود: مقام الشفاعة، وهو قول مجاهد والحسن البصري وغيرهما من أهل العلم.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره: ١٥/٩٧: قال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ". أهـ

وقال ابن حجر-رحمه الله- في فتح الباري: ١١/٤٣٥: بعد أن ذكر طرفا من أقوال أئمة التفسير: والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة.

- وقد أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:

" من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة ".

- وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم ".

- وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وفيه: **" أنا سيد الناس يوم القيامة ".**

والسيد: هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فالنبي ﷺ سيد الناس في الدنيا ويوم القيامة، حيث ينفرد بالسؤدد، وينفرد أيضًا بالشفاعة يوم القيامة.

وقد مر بنا أيضًا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أعطيت خمسًا لم يعطهم أحد قبلي: *وذكر في الحديث* .... وأعطيت الشفاعة ".

فالنبي ﷺ صاحب الشفاعة العظمى

وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين- عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم - ففي أرض المحشر عندما يشتدُّ البلاء بالخلق حيث طال بهم الوقوف(٥٠٠٠٠ سنة) واشتد الحر، وبلغ العرق مداه، وتأخَّر الحساب، وركبهم من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيبحثون عن أصحاب المنازل

العالية ليشفعوا لهم عند رب البرية، حتى يقضي بين العباد، فيذهبوا إلى آدم عليه السلام فيحليهم إلى نوح، ونوح يحليهم إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، والكل يقول: لست لها، لست لها، حتى يأتوا النبي ﷺ، فيقول: أنا لها، أنا لها، فيقوم الرسول مقامًا يحمده عليه الأولون والآخرون، وتظهر فيه منزلته العظيمة ودرجته العالية الرفيعة، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله إياه، **حيث قال:** ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩)

فيستأذن النبي ﷺ على ربه فيأذن له، فيقوم بين يديه ويخر ساجدًا، ويحمده ويثني عليه، ثم يقال له: "يا محمدُ، ارفع رأسكَ، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع"، فيشفع في الناس ليقام فيهم الحساب، وينصرفوا من أرض المحشر".

والحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك[1] – وفي رواية: فيُلْهَمون ذلك – فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم[2]، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحًا، أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض...**

فيأتون نوحًا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، لكن ائتوا إبراهيم الذي اتَّخذه الله خليلًا، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، لكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، لكن ائتوا عيسى روحَ الله وكلمتَه، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا، عبدٌ غَفَرَ الله له ما تَقَدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال النبي ﷺ: فيأتونني، فأقول: أنا لها، فأستأذنُ على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخرُّ له ساجدًا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، وسَل تُعطَه، واشْفَع تُشَفَّع [فيشفع في الخلق] ثم أقول [فأقول]: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، وسَل تُعطَه، واشْفَع تُشَفَّع، فأقول: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، قال: ثم أرجع إلى ربِّي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، وسَل تُعطَه، واشْفَع تُشَفَّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: فليس ذلك لك – أو قال: ليس ذلك إليك –، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجنَّ منها مَن قال: لا إله إلا الله".

١- يهتمون لذلك: أي يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذي هم فيه.
٢- لست هناكم: أي لست أهلًا لذلك.

- وفي رواية عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:

"كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة[1]، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون: ممّ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون مَن يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجَنَّة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات... فذكرها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلَّمتَ الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا ﷺ، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلقُ، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي..." ***الحديث***

وأخرج البخاري من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال:

" إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه المقام المحمود ".

[1]- النهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان- أما النهش (بالشين)، فهو تناوله بالأسنان وبالأضراس مع القبض على اللحم ونثره.

وصدق القائل حيث قال:

كذا له الشفاعة العظمي كمـــا ... قد خصـــــه الله بها تكرمـــــــا
يشـــفع أولًا إلى الرحمـــن في ... فصل القضاء بين أهل الموقف
من بعد أن يطلبها الناس إلى ... كل أولي العزم الهداة الفُضَلَا
وثانيًا يشـــــفع في استفتاح ... دار النعيـــم لأولي الفـــلاح
هـــــذا وهاتـــان الشفاعتان ... قـــد خصتا بـــــه بلا نكران

- **وكل نبي له دعوة مستجابة فدعا بها، إلا الحبيب النبي ﷺ فقد أختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة:**

– ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:***

" لكلِ نبيٍ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كلُ نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا ".

– ***وأخرج الإمام أحمد وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:***

" إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَآتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ بِحَلْقَتِهَا فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا ؟، فَأَقُولُ أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي فَأَدْخُلُ فَأَجِدُ الْجَبَّارَ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَتَكَلَّمْ، يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ، يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنْ الْإِيمَانِ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ، فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمْ الْجَنَّةَ، فَأَجِدُ الْجَبَّارَ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَتَكَلَّمْ، يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ: يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ الْإِيمَانِ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ..... إلى أن يقول له ربه ﷻ **" اذهب فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأدخله الجنة... ". *الحديث***

٧٢- النبي -صلى الله عليه وسلم-أعطاه الله تعالى الحوض المورود في عرصات يوم القيامة، وأعطاه الكوثر في الجنة:

والحوض معناه لغةً: "الجمع"، يقال: "حاض الماء، يحوضه: إذا جمعه"، ويطلق على مجتمع الماء والحوض شرعًا: هو الماء النازل من الكوثر في حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة.

صفة الحوض: والحوض هذا أعطاه الله- تعالى- لنبيه في عرصات القيامة، وهو حوض واسع الأرجاء طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، ويأتيه هذا الماء من نهر الكوثر في الجَنَّة، والذي أعطاه الله لنبيه، وينزل الماء من الكوثر إلى الحوض عن طريق ميزابان أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، وآنية الحوض من الذهب والفضة، وهي كعدد نجوم السماء، ويَرِدَه المؤمنون ليشربوا من يد الحبيب شربة لا يظمئون بعدها أبدًا، ويدل على ما سبق: -

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء[1]، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، مَن يشرب منها فلا يظمأ أبدًا ".

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: **" قلت: يا رسول الله! ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجَنَّة، مَن شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجَنَّة، مَن شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، وماؤها أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل".**

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي "شارح الطحاوية ص ٢٨٠":

"والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوضٌ عظيم، ومورِدٌ كريم، يُمَدُّ من شراب الجَنَّة من نهر الكوثر: الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. أهـ

أما عن صفة نهر الكوثر: فهو نهر أعطاه الله تعالى لنبيِّه في الجَنَّة، وهو الذي يصبُّ في حوض النبي ﷺ، وهذا النهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، ومجراه من الدر والياقوت، وطينته المسك الأذفر، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك. **قال تعالى:** ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر)

- أخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"بينا أنا أسيرُ في الجَنَّة، إذ عرض لي نهرٌ، حافتاهُ قبابُ اللؤلؤ المجوَّف، قلت: يا جبريلُ ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاكهُ الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكًا، ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فرأيت عندها نورًا عظيمًا"**

١- زواياه سواء: أي مربع، لا يزيد طوله عن عرضه شيئًا.

- ***وأخرج الحاكم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **الكوثر نهرٌ أعطانيه الله في الجَنَّة، ترابُهُ مسكٌ، أبيضُ من اللبن، وأحلى من العسل، تردهُ طائرٌ أعناقُها مثل أعناق الجُزرِ[1]، آكِلُها أنعمُ منها**".

(صحيح الجامع:٤٦١٤)

- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:***

" الكوثرُ نهرٌ في الجَنَّة، حافتاهُ من ذهب، ومجراهُ على الدُّرِّ والياقوت، تُربتُهُ أطيبُ ريحًا من المسك، وماؤُهُ أحلى من العسل، وأشدُّ بياضًا من الثلج". (صحيح الجامع:٤٦١٥)

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:*** **" بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: لقد أنزلت عليّ آنفًا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر)، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه وعدنيه ربي ﷻ، عليه خيرٌ كثيرٌ، وهو حوض ترِدُ عليه أُمَّتِي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء، فيُختلجُ العبدُ منهم، فأقولُ: ربِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك ".**

وقد يظن البعض أن نهر الكوثر هو الحوض الذي وعد الله- تعالى- نبيَّه، ولكن الأمر بخلاف ذلك، فالكوثر نهر في الجَنَّة يصب في حوض النبي ﷺ الذي هو في العرصات.

- ***يقول "شارح الطحاوية ص٢٧٩:*** "إن نهر الكوثر- وهو ممتد في الجَنَّة- يشخب (أي: يسيل) منه ميزابان؛ ليَصُبَّا في الحوض والذي هو في العرصات. اهـ

- **لكلِّ نبي حوضٌ، وحوض النبي أكثرهم ورودًا.**

فقد أخرج الترمذي من حديث سمرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" إن لكل نبي حَوْضًا، وإنهم يَتَبَاهَوْن أيهم أكثر وَارِدة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وَارِدة ".** (صحيح الجامع:٢١٥٦)

- ***وفي رواية:*** **" إن لكل نبيٍّ حوضًا ترده أُمَّتُه، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر وَارِدة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وَارِدة".** (الصحيحة:١٥٨٩)

تنبيه: النبي ﷺ يعرفُ أُمَّتَهُ عندما تَرِدُ على حوضه، من أثر الوضوء.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إن حوضي أبعد من أَيْلَة[2] من عدن[3] لهو أشدُّ بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصدُّ الناسَ عنه كما يصدُّ الرجلُ إبل الناسِ عن حوضه، قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: "نعم، لكم سيما[4] ليست لأحدٍ من الأُمَم، تَرِدُون على غُرًّا مُحجَّلين من أثر الوضوء ".**

١- الجُزر: جمع "جزور"، وهي "النوق".

٢- أَيْلَة: مدينة كانت عامرة، وهي بطرف بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام، وهي الأن خرابًا، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وقيل: يمر بها الحاج من مصر فتكون شماليهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم.

٣- عدن: مدينة باليمن.

٤- السيما: هي العلامة.

٧٣- النبي -صلى الله عليه وسلم- أول مَن سيقرع حلَق الجَنَّة، فلا يفتح لأحد قبله:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" آتي باب الجَنَّة يوم القيامة فأَسْتفْتِحُ، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرتُ لا أفتح لأحد قبلك".- *وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث أنس ﷺ:* " أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة ".

وقد مر بنا في الحديث السابق الذي أخرجه الإمام أحمد وفيه: **" ..... وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَآتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ بِحَلْقَتِهَا فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟، فَأَقُولُ أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي فَأَدْخُلُ .....".** الحديث

٧٤- النبي -صلى الله عليه وسلم- صاحب الوسيلة:

والوسيلة أعلى درجة في الجنة، وهي أقرب المنازل إلى العرش، لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله وهو رسولنا ﷺ.

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ٢/٥٥: الوسيلة عَلَمٌ على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلةُ رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش". أ هـ

- ومما يؤكد هذه الفضيلة *الحديث الذي أخرج الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:*" من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة [١]، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة، والفضيلة، وأبعثه مقاما محمودًا [٢] الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة ".

- *وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:*" إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ".

- *وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*" الوسيلة درجة عند الله، ليس فوقها درجة، فسلو الله أن يؤتيني الوسيلة ". (صحيح الجامع: ٧٠٢٨)

***وأخرج الطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*" سلوا الله لي الوسيلة، فإنه لا يسألها لي عبد في الدنيا، إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة ".**

(صحيح الجامع: ٣٥٣١)

---

[١]- الدعوة التامة: المراد بها هنا دعوة التوحيد، لأنها هي التامة الكاملة الباقية الخالدة.

[٢]- المقام المحمود: أي يحمد القائم فيه، وهو يطلق على كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ونصبه على الظرفية: أي ابعثه يوم القيامة فأقمه مقاما محمودا.

وأخيرًا أحبتي في الله

مهما تكلمنا عن فضائل النبي ﷺ فلم ولن نستطيع أن نفي بحقه ﷺ فالله ﷻ خص النبي ﷺ بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، ونوه على عظيم قدره بما تَكِلّ عنه الألسنة والأقلام، وأثنى على أخلاقه وآدابه، وخصه بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والفضائل العديدة. فقد أكمل الله- تعالى- المحاسن والكمال البشري في الحبيب النبي ﷺ، فَمَنَّ اللهُ عليه بجمال الصورة، واستواء البدن، ووضاءة الوجه، وقوة الفكر والعقل، ودقة الفهم، وسلامة القلب، وكرم النسب، وشرف الأصل، وفصاحة اللسان، وجميل الخصال، وحسن السجايا، وكريم الفعال .... يكفي أن الله تعالى خالق الخلق، ومدبر الكون هو الذي زكاة.

فاللهم أجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته واحشرنا في زمرته، وأمتنا على سنته، واسقنا من يديه الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، واجمعنا به في جناتك، جنات النعيم يا أرحم الراحمين

آمين

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك